ولا يجرمنكم شنآن قوم على الاّ تعدلوا،
اعدلوا هو اقرب للتقوى

التقوى

مجلة اسلامية شهرية

المجلد الخامس، العدد ١٠و ١١، شعبان، رمضان وشوال ١٤١٣ هـ

الموافق فبراير ومارس (شباط وآذار) ١٩٩٣م

رمضان.. شهر البركات الالٰهية

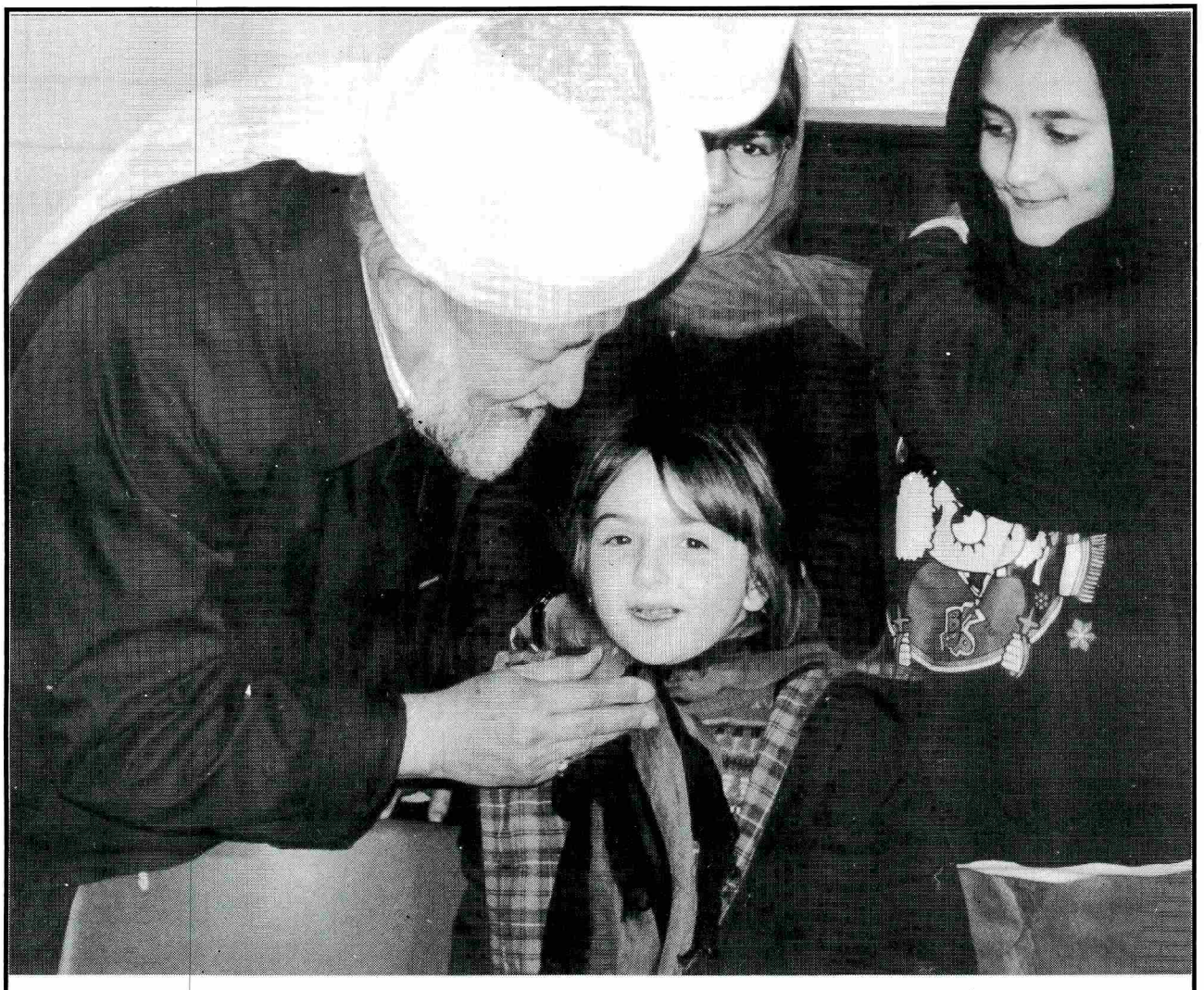

سيدنا أمير المؤمنين إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية مع بعض الصغار من المسلمين المهاجرين البوسنيين أثناء تفقده أحوالهم في إحدى المناسبات بإنجلترا.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

التقوى

مجلة اسلامية شهرية

تصدرها
دائرة الشؤون العربية
في
الجماعة الاسلامية الأحمدية

مدير الادارة
صفدر حسين عباسي

رئيس التحرير
طاهر عبد العزيز

هيئة التحرير
حاج محمد حلمي الشافعي
نصير أحمد قمر
منير أحمد جاويد
عبد الماجد طاهر

دار النشر والتوزيع
الشركة الاسلامية الدولية

المراسلات باسم رئيس التحرير
العنوان:

The Editor "Al Taqwa"
Islamabad, Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU 10 2AQ
England

دار الطباعة
«الرقيم»
اسلام اباد ـ بريطانيا

المجلد الخامس، العدد ١٠و ١١، شعبان، رمضان وشوال ١٤١٣ هـ
الموافق فبراير ومارس (شباط وآذار) ١٩٩٣م

محتويات العدد

الافتتاحية	٢
في عالم التفسير	٣
من جوامع الكلم	٧
كلام الإمام	٨
أخطارٌ تحدق بالعالم الإسلامي.. وقدرُ السماء	٩
الدكتور محمد عبد السلام	٢٠
حوارٌ طريف	٢٢
دعوات الأنبياء وخلفياتها	٢٩

ثمن النسخة : جنيه ونصف £1.5 والإشتراك السنوي £18 او ما يعادل ذلك
خارج بريطانيا. ترسل قيمة الإشتراك باسم التقوى الى عنوان المجلة

الافتتاحية

ها نحن على أبواب شهر البركة شهر رمضان شهر الصيام والقيام. سوف نتدرب فيه على الإمساك عن بعض الحلال بأمر من الله تعالى لنروض نفوسنا على كبح شهواتها والكف عن بعض ما حرمه الله علينا. وسوف نتحمل فيه بعض العطش والجوع لأيام معدودات، لنشعر ونقدر ما يعانيه العطاشى والجياع الذين ما أكثرهم في مجتمعاتنا وخاصة في البلاد الشرقية الفقيرة، ذلك لكي نمد لهم يد المعونة قدر الإمكان، لوجه الله تعالى، لا نريد منهم جزاءً ولا شكورا. كما سوف نركز فيه على فعل الخيرات ونزيد من العبادة والابتهال، لكي نستمر في فعلها في حياتنا اليومية، حتى يرحمنا الله تعالى فيصلح أحوالنا في الدنيا ويغفر لنا ذنوبنا في الآخرة.

ما أحوجنا نحن المسلمين لتلقي هذه الدروس من الصيام وخاصة في هذه الأيام التى يئن فيها كل عضو من أعضاء البلد الإسلامي بأنواع الآلام وينوء بشتى المحن والمصائب. فما يحدث في البوسنة وفلسطين والعراق والصومال وكشمير والهند وبورما يُوجب علينا أن نبتهل إلى الله تعالى لينصر كل المظلومين على الظالمين من أي دين أو شعب أو منطقة. ولا بد أن أخص هنا إخواننا المسلمين المضطهدين من البوسنة، فحالهم المتردي يحتّم علينا أن نتألم لآلامهم بشدة وندعو لهم بحرارة وصدق، ونقدم لهم المعونة المادية ما استطعنا لذلك سبيلا. يجب أن نوفر من طعامنا وشرابنا ولباسنا لنتبرع به لهؤلاء المضطهدين حتى يتقبل الله صيامنا وقيامنا وعبادتنا. وإن لم نفعل ذلك فليس لله حاجة في أن ندع طعامنا وشرابنا، كما قال، سيدنا المصطفى ﷺ.

وفقنا الله تعالى لمعرفة هذه المعانى السامية في عبادة الصيام والعمل على ضوئها حتى نحقق هذه الأهداف النبيلة والعظيمة في ترك الطعام في هذه الأيام.

(التحرير)

بسم الله الرحمن الرحيم

في عالم التفسير

بقلم حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه
الخليفة الثاني لسيدنا المهدي عليه السلام

[ولا تَلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون * ٤٣]

شرح الكلمات:

لا تلبسوا: لَبَس عليه الأمرَ لبسًا: خلطه وجعله مشتبها بغيره (الأقرب).

الباطل: نقيض الحق وهو ما لا ثبات له عند الفحص (المفردات).

التفسير:

قوله تعالى: [لا تلبسوا الحق بالباطل] أي لا تخلطوا الحق بالباطل فتجعلوه مشتبها. وهذا دأب أعداء رسل الله دائما.. يأخذون من الحق شيئا ويخلطون به الباطل ويثيرون ضجة ضد النبي قائلين إنه كاذب. كان اليهود في زمن الرسول ﷺ يعترفون بظهور كل العلامات المتعلقة بالنبي الموعود، ومع ذلك كانوا يحتجون حينًا بأن العلامة الأساسية له أن يظهر من بني إسرائيل، وتارة يقولون إنه سيظهر من أورشليم، وهكذا كانوا يحرمون العوام من قبول الحق؛ مع أن الأصل في قبول الحق أن يوضع موضع النظر ما إذا كان الموعود يحقق الغرض من بعثه أم لا؟ وهل ظهر في زمن هو في أمَس الحاجة إلى ظهوره أم لا؟ وهل تحققت بعض الأنباء المتعلقة به تحققا ظاهرا بلا تأويل أم لا؟ إذ أن بعض الأنباء تنطوي على معان مجازية وتحتاج إلى تأويل. ولا شك أنه ورد في بعض المواضع خبر ظهور هذا الموعود من بني إسرائيل، ولكن هناك أخبارا عن مجيئه من بني إسماعيل في مواضع أخرى.. فيكون معنى ظهوره في بني إسرائيل أنه يرث بركاتهم، ويحل محلهم. وصحيح أن هناك كلماتٍ تخبر بظهوره من صهيون، ولكن هذا يعنى فقط أن المكان الذى يظهر منه الموعود، أي مكة المكرمة، يكون كصهيون من الأماكن المقدسة عند الله تعالى.

فعلى الرغم من تحققِ العديد من العلامات الأخرى لهذا الموعود تحققًا حرفيا، وظهورِه في زمن كان في أَمَس الحاجة إلى ظهوره، وقيامِه بأعمال قدِّر له القيام بها.. فإن اعتراض بني إسرائيل بأن النبأ الفلاني لم يتحقق بعد، أو لم يتحقق تحققا حرفيا.. كل ذلك ليس إلا لَبْس الحق بالباطل.. ومحاولة ماكرة لصد الناس عن قبول الحق. ولكن مثل هذه المحاولات لم تفلح في الماضي، ولا في زمن الرسول، ولن تفلح في المستقبل.

وقوله تعالى: [وتكتموا الحق] أصله: ولا تكتموا الحق.. ويبين أسلوبا آخر من خداع بني إسرائيل، فقد كانوا يخفون الأنباء التى تبين صدق النبي ﷺ. فكأنهم كانوا يقاومون بطريقين: أحدهما خلط الأنباء عند ذكرها للناس، فمثلا كانوا يخلطون ما هو صريح منها بما هو مجاز يتطلب تأويلا، أو كانوا يخلطون بين الأنباء المتعلقة بالنبي الموعود وبين أنباء عن آخرين سابقين، ويقولون إنها أيضا علامات الموعود. وهذا ما يفعله المشائخ بين المسلمين اليوم. فقد أخبر الإسلام بمجيءِ أكثر من مهدي، وقد جاء بعضهم وتحقق فيهم ما ورد عنهم من أنباء، ولكن هؤلاء المشائخ لا يزالون يربطون هذه الأنباء بمجيءِ المهدي المنتظر، وهكذا يلبسون على الناس الأنباء المتعلقة به وحده.

والطريق الثاني للمكر الذى لجأ إليه اليهود ضد النبي ﷺ أنهم كانوا يخفون بعض الأنباء عن أعين العوام، ويعرضون عن ذكرها في وعظهم الديني، وإذا نبههم المسلمون إليها أنكروها إنكارا تاما، وإذا اضطرهم عالم مطلع تملصوا واختلقوا الأعذار.

وقوله تعالى: [وأنتم تعلمون] أي لا تفعلون ما تفعلون من لبس الحق بالباطل وكتمانه مصادفةً أو سهوا، بل تفعلونه متعمدين عالمين به. ومن يرتكب مثل هذا الإثم متعمدا لن يكون ممن يرثون فضل الله تعالى.

[وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاةَ واركعوا مع الراكعين * ٤٤]

شرح الكلمات

الزكاة: زكا الشيءُ: نما. زكا الرجل: صلح وتنعَّم وكان في خصب. زكت الأرض: اخضرت. زكاه الله: أنماه؛ طهَّره. زكّى فلان ماله: أدّى عنه زكاة. زكّى نفسه: مدحها. تزكى: تصدق. والزكاة: صفوة الشيءِ؛ طاعة الله؛ ما أخرجتَه من مالك لتطهره به. وقيل سُميت الصدقة بالزكاة لأنها تزيد في المال الذى تُخرَج منه وتوفره وتقيه من الآفات (الأقرب).

اركعوا: ركع المصلي رَكْعا ورُكوعًا: طأطأ رأسه. ركع إلى الله: اطمأن إليه. ركع الرجل: انحطت حالته وافتقر. وركع المصلي في

الصلاة: خفض رأسه بعد قومة القراءة حتى تنال راحتاه ركبتيه، أو حتى يطمئن ظهره. والراكع: كل شيء يخفض رأسه (الأقرب). الركوع: الانحناء، فتارة يستخدم في الهيئة المخصوصة في الصلاة، وتارة في التواضع والتذلل إما في العبادة وإما في غيرها (المفردات). كل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبته الأرض أو لا تمسها بعد أن يخفض رأسه فهو راكع. وقال ثعلب: الركوع الخضوع. وكانت العرب في الجاهلية تسمي الحنيف راكعًا إذا لم يعبد الأوثان، ويقولون: ركع إلى الله (التاج). فمعنى اركعوا: تواضعوا؛ اعبدوا الله خالصا.

التفسير

في الآيات السابقة أمر الله تعالى بني إسرائيل بإصلاح إيمانهم، والآن يوجههم إلى إصلاح أعمالهم قائلا: لا مناص لكم من تصديق محمد رسول الله ﷺ لتكميل إيمانكم.. وكذلك لابد لكم من إصلاح أعمالكم بتصديقه. لا شك أنكم تؤدون العبادة بطريقتكم ولكنها الآن غير مقبولة، وإذا اتبعتم محمدًا في أسلوب عبادته لله تعالى قُبلت العبادة منكم. وإنكم لتؤدون تضحيات مالية قومية ولكنكم لن تحظوا برضا الله تعالى ما لم تؤدوا الزكاة بحسب شريعة محمد ﷺ. وإن عبادتكم وأعمالك قد تتنزه عن الشرك إلى حد ما، ولكن معيار التوحيد قد تغير، فلن ترثوا اليوم أفضال الله تعالى ما لم تصلوا إلى مستوى التوحيد الذى أقامه عن طريق محمد رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: [وآتوا الزكاة]. والزكاة إخراج نسبة محددة من الأموال في سبيل الله. وسوف نبحث مسألة الزكاة فيما بعد، وكذلك راجع تفسير الآية رقم ٤ من هذه السورة عند شرح قوله تعالى: [ومما رزقناهم ينفقون] حيث ورد ذكر الواجبات المالية على المسلم.

قوله تعالى: [واركعوا مع الراكعين].. ذكرنا في شرح المفردات أن الركوع هو الهيئة المعروفة في الصلاة، وكذلك يعني الركوع أن يعيش المرء عيشة منزهة عن الشرك؛ لأن الراكع عند العرب من آمن بالله ولم يعبد الأوثان. قال النابغة الذبياني في هذا المعنى:

سيبلغ عذرا أو نجاحا من امرئ إلى ربه رب البرية راكعُ

فلا يعني الركوع هنا ركوع الصلاة لأنها لا تقتصر على الركوع وحده. بل فيها غير ذلك من الحركات والهيئات، ومن ثم فليس هناك داع لذكر الركوع خاصة. ثم إن قوله تعالى: [وأقيموا الصلاة] قد تناول موضوع الصلاة بصفة عامة، وكذلك صلاة الجماعة التى تتضمن كل حركات الصلاة وهيئاتها من قيام وسجود وركوع وتلاوة وغيرها، فلم يكن هناك حاجة لتخصيص الركوع بالذكر بعد ذكر الصلاة الشاملة.

فالمعنى أن الله تعالى أمر بني إسرائيل أولا بإقامة الصلاة مع المسلمين وأداء الزكاة مثلهم، ثم أمرهم ثانيا بأن يخلصوا أعمالهم لله وحده كما يفعل المسلمون وينتهجوا التوحيد الكامل، وينزهوا أعمالهم من شوائب الشرك؛ وعندئذ سيرثون النعم التى وُعدوا بها في الوعد الإبراهيمي.

لقد دعت الحاجة إلى هذا الشرح كي لا ينخدع أحد ويظن أن اليهود يغنيهم اليوم العمل بأحكام التوراة، فليكن واضحا للجميع أن العمل الصالح هو ما جاء في الشريعة الإسلامية، ولا يُقبل إلا إذا أداه الإنسان بالطريقة الإسلامية.

[أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب. أفلا تعقلون* ٤٥]

شرح الكلمات:

البرّ: الصلة أي الإنعام والعطية والإحسان؛ الطاعة؛ الصدق (الأقرب). وأصل معنى البر السعة ثم شاع في الشفقة والإحسان والصلة. وقال الإمام أبو منصور اللغوي: البر خير الدنيا والآخرة. والبر أيضا الصلاح؛ الخير؛ الاتساع في الإحسان إلى الناس (التاج).

تنسون: نسي الشيء نَسيا: ضد حفظه. قال الراغب: النسيان ترك الإنسان ضبطَ ما استُودِعَ إما لضعف قلب وإما عن غفلة وإما عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره (الأقرب). وفسره أكثر أهل اللغة بالترك، وقال ثعلب في قوله تعالى: [نَسُوا الله فنَسيهم]: لا ينسى الله عز وجل، إنما معناه تركوا الله فتركهم. وإذا نسب ذلك إلى الله فهو تركه إياهم استهانة ومجازاة لما تركوا (التاج). وقوله تعالى: [لا تنسوا الفضل بينكم] أي لا تقصدوا الترك والإهمال (الأقرب).

فمعنى [تنسون] أنكم تهملون؛ تغفلون؛ تتركون.

أنفُسكم: الأنفس جمع نفس، والنفس: الروح؛ الجسم؛ ويراد بها الشخص والإنسان بجملته؛ العظمة؛ العزة؛ الهمة؛ الإرادة؛ الرأي (الأقرب)

تتلون: تلا الكلام تلاوة: قرأه. (الأقرب)

تعقلون: عقل الدواء البطنَ: أمسكه. عقل الغلامُ: أدرك. عقل الشيءَ: فهمه وتدبره. عقل البعيرَ: ثنى وظيفه مع ذراعه فشدهما معا بحبل. عقل الوَعْلُ عقلا: صعد وامتنع في الجبل العالي. والعقل نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية (الأقرب). فمعنى [أفلا تعقلون]: ألا تستخدمون العقل؛ ألا تمتنعون عن الأنشطة المشينة.

التفسير:

بيّنا في شرح المفردات.. أن البر هو أعلى درجات الإحسان والخير.. وتنبه الآية بني إسرائيل أنهم بحسب تعاليم كتبهم كانوا يأمرون الناس كثيرا بفعل الخير والإحسان إلى الآخرين، ولكنهم رفضوا الدخول في طاعة النبي العظيم خشية أن يضيع منهم الجاه الدنيوي، وتقول لهم: إذا كنتم تأمرون الناس بالخير فلا تنسوا أنفسكم وحقُّها عليكم أعظم.

ومن معاني النسيان الترك، وفي ضوء هذا المعنى تقول الآية: أتأمرون الناس بالخيرات وتتركون أنفسكم؟ فلماذا لا تحضونها على البر حتى لا يتعارض عملكم مع قولكم.

قوله تعالى [وأنتم تتلون الكتاب]. لا يعنى هذا أن كتابهم خال من التحريف والتبديل، كما يستنتج بعض الجهال.. وإنما قيل «الكتاب» بمناسبة الموضوع السابق.. أي إنكم تقرأون كتابكم على الأقل، وهو لا يأمر أبدًا أن تنصحوا الآخرين بالخير وتسيروا أنتم في طريق الشر. فإذا كنتم تصدقون كتابكم وتؤمنون به وهو لا يجيز هذا الأسلوب.. فلماذا سلكتموه؟ عليكم أن تضحوا في سبيل الحق كما تأمرون غيركم بالتضحية، ولا تهلكوا أنفسكم بسلوككم هذا.

قوله تعالى [أفلا تعقلون].. أي أفلا تمتنعون؟ إذا كانت كتبكم لا تعلمكم أن تسيروا في طريق البر.. لأمكن التماس العذر لكم، ولكن انحرافكم عن طريق الخير برغم وجود هذا التعليم في كتبكم لأمر مؤسف جدا. فإذا كنتم لا تنصاعون لنصيحة أحد فعلى الأقل اتبعوا تعاليم كتابكم واسلكوا سبل الخير والتقوى.

[واستعينوا بالصبر والصلاة. وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين * ٤٦]

شرح الكلمات:

الصبر: ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله. فإذا دعا اللهَ العبدُ لا يُقدح في صبره. وفي (الكليات) الصبر في المصيبة. وصبر الرجل على الأمر: نقيض جزع أي جرأ وشجُع وتجلد. صبر عن الشيء: أمسك عنه. صبر الدابة: حبسها بلا علف. صبرتُ نفسي على كذا: حبستها. صبرت على ما أكره، وصبرت عما أحبه (الأقرب). فمعنى الصبر، أولا: الامتناع عن الآثام والثبات على الحسنات، وثانيا: عدم الجزع عند المصيبة في سبيل الله.

الخاشعين: جمع خاشع.. خشع: ذلّ وتطأمَن. خشع ببصره: غضه. والخشوع في الصوت والبصر كالخضوع في البدن (الأقرب). **والخشوع**: الضراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع في ما يوجد على الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب (المفردات).

التفسير:

هناك مانعان لقبول الصدق: الأول ضغط الحكومات أو القوم والأقارب والأصدقاء الذين بسبب عدم فهمهم للحق أو تعصبهم أو لمصالحهم الشخصية لا يقبلون الحق ويصدون الآخرين عن قبوله؛ والثاني: صدأ العادات المتأصلة وران المعاصي السابقة الذى يميت القلب ويسلب الهمة. وتشير هذه الآية إلى السببين كليهما، وتقول: يا بني إسرائيل إذا كان الحق قد حصحص لكم فلا تتأخروا عن قبوله. سوف تتعرضون لضغوط من أقربائكم وأصدقائكم، وتواجهون الظلم والاضطهاد.. ولكن لا تحفلوا بكل هذا، وقاوموه بعادة الصبر الطيبة. كما عليكم أن تدعوا الله تعالى لتطهير قلوبكم ليزول عنها الصدأ فتتهيأ لقبول الحق.

وتبين هذه الآية نكتة أخرى من علم النفس ألا وهي أنه لا بد لصلاح أي شيء من أمرين: الأول أن يصان من التأثيرات الخارجية؛ والثاني: أن تُزاد قوته الداخلية. وباستخدام كلمة الصبر تشير الآية إلى ضرورة مقاومة التأثيرات الخارجية، وباستخدام كلمة الصلاة تشير إلى ضرورة جذب الفضل الإلهي بالدعاء.. فذلك يسد أبواب النقص ويفتح أبواب القوة ويُفلح الإنسان. وكما بيّنا في شرح المفردات فإن الصبر لا يعني ترك الجزع فقط، بل يعني أيضا الامتناعَ عن التأثر بالأفكار السيئة ومقاومتَها. فعندما يرفض أحد التأثير السيء ويستجيب للمؤثرات الحسنة بمعونة الدعاء.. تتولد في قلبه روحانية تسهِّل له ما كان يبدو له صعبا من قبل، فيحقق الانتصار في معركة الرقي الروحاني.

وفي قوله تعالى [وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين] وردت كلمة «كبيرة» صفة لمحذوف والتقدير إنها لمهمة كبيرة أي صعبة. والخاشع هو الخائف، وحيثما وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم كانت بمعنى الخائف مما يكون الخوف منه مناسبا ولائقا. فقد وردت في كل مرة إما بمعنى الخوف من الله تعالى أو من عذابه.

وهنا يمكن أن يقول قائل بأن وصف مثل هذا العلاج يسير، ولكن العمل به صعب. فردت الآية قائلة: إنها لكبيرة إلا على الخاشعين. نعم، إن العمل بمثل هذه الوصفة أمر شاق، ولكن من كان من الخاشعين وجده سهلا. وكأن العلاج الحقيقي للتقصير والمعاصي هو الإيمان الكامل بالله تعالى، وبدونه لا يصان منها أحد مهما اتخذ من الوسائل. لقد اختبرت الدنيا هذا مرارا، ولكنها للأسف تنسى ذلك في كل مرة. إن الخير الحقيقي الكامل لا يتولد أبدا في الإنسان إلا باليقين الكامل بالله تعالى. إن الدلائل الفلسفية لا تستطيع خلق التقوى الصادقة في الإنسان، وإن خوف المعاصي الذى يتولد في القلب بالإيمان الكامل بالله تعالى لا يمكن أن يتولد

بأي طريق آخر. ومن أجل ذلك.. فإن الأمثلة التى قدمتها جماعات الأنبياء من الخير والتضحيات لا يمكن أن تقدم نظيرها أيةُ جماعة في الدنيا.

إن ما وُعظ به بنو إسرائيل في هذه الآية من الحب والنصح لدليل بيّن على تلك الروح السامية التى يريد الإسلام غرسها في العالم. فكل لفظ من الآية يقطر نصحا ويشع صدقا بما يدل على صدق ناصحهم لإنقاذهم من الخطأ. يقول بعض الحمقى أن هذا القرآن الكريم كلام محمدﷺ كان يريد به أن ينال القبول لدى اليهود. ولكن تدبروا كلمات هذه الآية.. فهل هي لطالب صيت وقبول؟ ثم فكروا أن بني إسرائيل لم يؤمنوا به رغم نصحه هذا. فمن كان المتضرر؟ هل تضرّر الإسلام؟ كلا. فعند تقديم هذه النصيحة لبني إسرائيل لم يكن قد آمن بمحمد رسول اللهﷺ إلا بضع مئات، ولكن اليوم ينطق بشهادة صدقه أكثر من أربعمائة مليون من البشر؛ وحكم المسلمون الدنيا لألف عام، واليوم أيضا يهيئ الله الوسائل لازدهارهم مرة أخرى. ولو آمن بنو إسرائيل مازادوا على ذلك شيئا يذكر، ولو كانت ثمة مصلحة لكانت مصلحتهم هم. لقد تنصر منهم مئات الآلاف، فماذا كانت النتيجة؟ أُخرجوا من بلادهم، ونهبت ممتلكاتهم، ولم يكونوا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. ولو أنهم أسلموا لدخلوا في زمرة مئات الملايين من المسلمين شركاء على قدم المساواة في كل البركات، ولم يصبهم أحد بأذى باعتبارهم من الأجانب. فزعم الكتّاب النصارى رغم كل هذه الحقائق بأن محمداًﷺ كان يغري بنى إسرائيل لضمهم إلى صفه.. لافتراء يخالف العقل والواقع. وكل ما في الأمر أن القرآن قدّم لبني إسرائيل النصح لمحض منفعتهم، ولكنهم لم يقبلوه، فلا يزالون يتحملون تبعات ذلك.

[الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون * ٤٧]

شرح الكلمات:

يظنون: ظنّ الشيءَ: عَلمه واستيقنه. والظن هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك (الأقرب). وقد استُعمل الظن هنا بمعنى اليقين.

التفسير:

من الأسلوب القرآني أنه عندما يستخدم كلمة ما لمعنى خاص فإنه يُتبعها بشرح لهذا المعنى. فهنا يوضح المعنى الاصطلاحي لكلمة «خاشعين» الواردة في الآية السابقة، فيبين أنها لا تعنى مجرد الخائفين، وإنما تعنى الذين يتولد في قلوبهم خشية الله تعالى نتيجة يقينهم الكامل بوجوده ولقائه، ولا يتأسس شعورهم هذا على مخافة الأذى وإنما على الخشية من فوات الترقيات الروحية العليا. وهذا الخوف ليس من قبيل خوف الجبان، وإنما هو قلق العارف بالله.. وتجده في أشجع الشجعان، بل ويجب أن يوجد فيه. فقيل لليهود في الآية السابقة أن طرد خوف مصائب الدنيا عملية صعبة بلا شك، ولكنها سهلة على الخاشعين، أي الخائفين من الحرمان من الترقيات الروحانية.

ولا يستقيم المعنى إذا أخذنا كلمة (الخاشعين) بمعنى الخوف العادي، إذ يصير معنى الآية عجيبا هكذا: لا تخافوا الناس، وإن كان تجنب الخوف أمرا صعبا إلا أنه سهل على الخائفين! إذاً فالخشوع يعني هنا خوف الإنسان من أن يُحرَم القربَ من ذلك الوجود الكامل الذى يؤمن به.

والمراد من الآية: لا تخافوا المصاعب والمشاكل الدنيوية. إن تجنب هذا الخوف صعب بلا شك، ولكن الذين ينصبون لهم هدفا ساميا بحيث يشق عليهم ترك هذا الهدف لا يعود تحمُّل المشاق صعبا عليهم. والخوف من فوات المرام يعد في الحقيقة شجاعة وحذرا وليس جبنا.

قوله تعالى [وأنهم إليه راجعون].. الإسلام هو الدين الوحيد الذى يؤكد الحياة بعد الموت حق التأكيد، وليس هناك دين غير الإسلام يتخذ من الحياة الأخروية أساسا لبناء التقوى في الدنيا. إنه يعتبر الحياة الدنيا حلقةً من حلقات حياة طويلة يكتمل خلالها رقي الروح الإنسانية، ولا يعتبر الموت نهايةً لصراع الروح، بل يرى أنها ستمضي بعده في كفاح مستمر. والفرق بين الحياتين أن الإنسان يكافح في الأولى وهو في ظلام نسبي، ولكن في الآخرة ينال الصالح والطالح بصيرة بها يسعيان للرقي. الأشرار سوف يكافحون للتخلص مما هم فيه من شدة وبلاء قدمته أيديهم، وأما الأبرار فيسعون للمزيد من الرقي. هذا هو اليقين الذى جعل المسلمين الصادقين لا يخافون الموت أبدا، وكلما يهب المسلمون بهذا الإيمان واليقين يكتب لهم النصر على العالم. أما الذين يعتبرون هذه الحياة الدنيا نهاية رقيهم فلا يمكن أن يجتهدوا لفعل الخيرات بمثل اجتهاد المؤمنين بالحياة بعد الموت، وإنما يميلون دائما نحو ملذات الدنيا، ولا يصرفون أنظارهم عن المتع المادية، ولا يمكن أن يضحوا براحة أبدانهم.

[يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التى أنعمتُ عليكم وأني فضّلتكم على العالمين * ٤٨]

شرح الكلمات:

فضّلتكم: فضّله على غيره: جعل له مزية عليه وحكم له بالفضل. وفضّله: صيّره أفضل منه (الأقرب).

بقية ص ٣٦

من جوامع الكلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عزَّ وجل: كُلُّ عملِ ابنِ آدم لهُ إلاَّ الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به. والصيامُ جُنَّةٌ، فإذا كان يومُ صومِ أحدكُم فلا يرفُثْ ولا يصْخَبْ، فإنْ سابَّهُ أحدٌ أو قاتَلَهُ فلْيَقُل إنِّي صائمٌ. والذي نفسُ محمدٍ بيدهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصائم أطيبُ عند الله من ريح المِسْك. للصَّائم فرحتان يفرحهُما: إذا أفطر فرِحَ، وإذا لَقِيَ ربَّهُ فرِحَ بصومِهِ». (متفق عليه)..

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَامَ رمضان إيمانًا واحتسَابًا غُفِرَ لَهُ ما تقدَّم من ذنبِهِ». (متفق عليه).

وعنه رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء رمضَانُ فُتحت أبوابُ الجنةِ وغُلِّقتْ أبوابُ النَّار، وصُفِّدت الشياطينُ». (متفقٌ عليه).

وعن سهلِ بن سعدٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنَّ في الجنَّة بابًا يُقال له الرَّيانُ يدخُلُ منهُ الصَّائمونَ يومَ القيامةِ، لا يدخُلُ منهُ أحدٌ غيرهم، يُقال: أينَ الصَّائمون؟ فيقُومُون، لا يدخُلُ منهُ أحدٌ غيرُهُم. فإذا دَخلُوا أغلق فلَمْ يدْخُل منهُ أحدٌ». (متفق عليه).

عن سلمان الفارسي قال خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال: «يا أيها الناس، قد أظلّكم شهر عظيم شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوّعًا. من تقرّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدّى فريضة فيه كان كمن أدّى سبعين فريضة فيما سواه. وهو شهر الصبر.. والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن. من فطّر فيه صائمًا كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبة من النار. وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء. قلنا: يا رسول الله، ليس كلنا ما يفطر به الصائم؟ فقال رسول الله ﷺ: يعطى الله هذا الثواب من فَطّر صائمًا على مذقة لبَنٍ أو شربةٍ من ماء. ومن أشبع صائمًا سقاه الله من حوضي شربةً لا يظمأ حتى يدخل الجنة. وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار. ومن خفّف عن مملوكه فيه غفر الله له، وأعتقه من النّار. (البيهقي).

كلام الإمام

حقيقة الصيام

ثالث اركان الاسلام هو الصيام، ولكن الناس يجهلون حقيقة الصيام. من فطرة الانسان انه كلما كان قليل الأكل كلما كان اكثر حظا من تزكية النفس وازدادت فيه قوى الكشف۔فالله تعالى يريد بالصيام ان نقلل من غذاء ونكثر من آخر. يجب على الصائم ان يتذكر دائما ان الصوم لا يعنى ان يجوع فقط، بل عليه ان يشتغل في ذكر الله تعالى حتى يحصل له تبتل وانقطاع إليه عز وجل. فليس الصوم إلا ان يستبدل الانسان بالغذاء الذى يساعد على نمو الجسم فقط غذاء آخر تشبع به الروح وتطمئن...

الرَمض يعنى: حرارة الشمس، وبما أن الانسان من ناحية يكف عن الأكل والشرب وغيرهما من الملذات البدنية، ومن ناحية اخرى يخلق في نفسه حرارة وحماسا للعمل بأوامر الله تعالى، فاجتمعت الحرارة الروحانية والحرارة الجسمانية فصارتا «رَمَضان»...

شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن ...بهذه الجملة الرحيدة يدرك المرء عظمة شهر رمضان. لقد كتب الصوفية ان هذا الشهر صالح جدا لتنوير القلب، ويحظى فيه الانسان بالكشوف بكثرة. إن الصلاة تقوم بتزكية النفس، واما الصوم فيحصل به التجلى على القلب. والمراد من تزكية النفس أن يصير العبد في معزل عن شهوات النفس الأمارة، وأما التجلى على القلب فيعنى ان يفتح عليه باب الكشف بحيث يرى الله عز وجل...

إن الدعاء برهان قوى على وجود الله تعالى، يقول عز وجل: واذا سألك عبادي عنى فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان؛ اي اذا سألك عبادي: أين إلهنا، وما البرهان على وجوده، فقل لهم: انى قريب جدا. والدليل على ذلك انه عندما يناديني الداعي ارد على دعائه.

وهذا الرد حينا يأتى في صورة رؤيا صالحة، وحينا آخر في شكل كشف، وتارة عن طريق الإلهام، وعلاوة على ذلك يظهر الله قدرته وقوته بسبب الدعوات، ويعلم العبد أنه عز وجل قادر لدرجة انه يحل المشاكل. فالدعاء كنز كبير وقوة عظيمة...

إن في الدعاء موتا... فمثلا لو ادعى إنسان ان عطشه الشديد قد زال بشرب قطرة من الماء لعد كاذبا، ولكنه لو شرب كوبا مملوء لصدقه الناس. فالانسان حينما يدعو بكل لوعة واحتراق لدرجة ان روحه تذوب وتسيل على عتبة الله فعندئذ يعتبر دعاؤه دعاء حقيقيا. وقد جرت سنة الله انه حينما يتم الدعاء بهذا الاسلوب فإنه عز وجل إما يقبله او يجيب السائل ويخبره بالكلام .... انظروا الى الولد فإنه حينما يضطرب من شدة الجوع ويصرخ طالبا اللبن، ينزل اللبن بقوة في ثدي امه، مع ان الولد لا يعرف ما الدعاء؟... هذا امر قد اختبره كل انسان قريبا. وقد شوهد في بعض الأحيان ان الام لا تشعر بأي أثر للبن في ثديها، بل في كثير من الأحيان لا يوجد اللبن حقا، ولكن ما أن تسمع صرخة الولد المؤلة إلا وينزل اللبن في ثديها على الفور.

فكما ان هناك علاقة بين صرخات الطفل وبين نزول اللبن فإننى أقول لكم بكل صدق أنه إذا كانت صرخاتنا أمام الله تعالى مصحوبة بمثل هذا الاضطراب والاضطرار فلا بد ان تحدث جيشانا في فضله ورحمته عز وجل وتستدرها علينا.

(من تفسير سورة البقرة للمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام)

أخطار تُحدق بالعالم الإسلامي وقدر السماء

لسيدنا مرزا طاهر أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. [بسم الله الرحمٰن الرحيم * الحمد لله رب العٰلمين * الرحمٰن الرحيم * مٰلك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين *].

إن العالم الإسلامي يمر اليوم بفترة عصيبة ويتعرض لمصيبة تلو مصيبة. انظروا إلى ما يجرى في الهند حيث يُقتل المسلمون ظلما وبدون هوادة، ويُخرجون من ديارهم بدون جريمة، وتُسلب أموالهم وممتلكاتهم، ويمارس ضدهم أنواع المظالم، وصنوف الجرائم. وتصلني عن طريق رسائل بعض الإخوة من جماعتنا أخبار يحكون فيها كشهود عيان ما هو أكبر وأخطر بكثير مما يُنشر في الجرائد. وكيف أن الظالمين من الهندوس ألقوا أطفالا أبرياء مسلمين في النار، وكيف بحثوا عنهم وقتلوهم شر قتلة. وكيف قام الجيش والشرطة بفرض حظر التجول وجرّدوا المسلمين من السلاح، وأخبروا الهندوس الثائرين بمكانهم لمهاجمتهم. فهناك أحداث مؤلمة للغاية تذوب الروح بقراءتها، وتخر على عتبة الله وتبتهل إليه، نقرأها ولا نجد بأيدينا من حيلة لمساعدة إخواننا، إلا الدعاء والابتهال أمام الله تعالى.

وعندما ننظر إلى البوسنة نجد أيضا مشهدًا مؤلما جدا. في الهند هناك ١١٠ مليون مسلم ولا يستطيع الهندوس إبادتهم ومحو أثرهم بإذن الله تعالى. وأما في البوسنة فهناك خطر شديد من أن يتمكن الأعداء من القضاء على شعب البوسنة المسلم. بنيتهم استئصال شأفتهم لأن البوسنة هي البلد الإسلامي الوحيد في القارة الأوروبية إلى جانب جزء صغير من تركيا يقع في أوروبا. وما تقرأونه في الجرائد من أحداث وأعداد المظالم ضئيل جدا إزاء ما يحكيه المهاجرون من البوسنة. فما يحكيه هؤلاء الذين هم شهود عيان يهول القلوب ويصعب سماعه. ويخبر الإخوة من جماعتنا الذين يجدون في الاتصال بالمهاجرين البوسنيين أن حالهم يدعو للرثاء. فقد صاروا يبحثون عن الحب والعطف، ويستغربون إذا ما زرتهم إذ يحسبون أنهم مطرودون من قِبل جميع الناس. فقد قام الظالمون بإبادة عائلات بأكملها، وقتلوا الصغار أمام آبائهم وأمهاتهم بطرق وحشية. إنها قصص يستحيل عليَّ الاستمرار في سماعها أو قراءتها. فهذا يُحطم أعصابي، فلا أستطيع أن أتحمل المزيد فأتوقف عن قراءتها وأوقف من يحكيها. هناك شريط فيديو عن هذه المظالم، وقد استأذنتُ الذين صنعوه بنشره. فإذا أذنوا لنا فسوف ننشره في كل العالم لتعرف الدنيا كيف أن أعداء الإسلام يرتكبون ضد المسلمين مظالم مروعة، وأن أهل الغرب يتحدثون فقط باللسان، وأمريكا تتعاطف معهم بالكلمات لا غير.

المظالم في البوسنة

يظهرون هذه البرودة تجاه المظلومين في البوسنة، يعاملون أهل العراق باسم «الأمم المتحدة» معاملة سيئة ومهينة للغاية، مرة بعد أخرى. وأكبر ما ارتكبه العراق من جرم هو محاولته لصنع قنبلة ذرية. يضربون العراق لهذه «الجريمة»، ولكنهم لا ينظرون إلى ما صنعته وجمعته إسرائيل من الكمية الهائلة من الأسلحة الذرية الفتاكة مما جعلها تهدد حتى الاتحاد السوفيتي! فقد قالت لهذه القوى العظمى مرة إذا نويتم بنا سوءً سوف ندمر كل مدينة كبيرة لكم، فإنها تحت ضرب أسلحتنا. ولكنهم لا يلتفتون إلى هذه الأسلحة الإسرائيلية ويغضون النظر عنها.

ولو أنهم قالوا: نضرب العراق لأنه يظلم أهله من الأكراد والشيعة، فنقول لهم: لماذا تتعاطفون لهذه الدرجة مع هؤلاء المسلمين الذين لا يمكن أن يتصور أحد بأن الحكومة العراقية تقدر على إبادتهم، ولو أنهم قد تعرضوا فعلاً للاضطهاد هناك العديد من الأماكن في العالم حيث يتعرض أهلها على يد إخوانهم لما هو أشد من ذلك!؟ هذا الظلم يتكرر في كل شعب وفي كل مكان وإلى الآن فإذا زعمت أمريكا أن الله تعالى عينها شرطيا على أمم العالم فعليها أن تطارد الظالمين في كل مكان وتعاقبهم جميعا. لم لا تنقذ البوسنيين المظلومين من رحى الظلم؟ فهناك أيضا مسلمون، وقد طُردوا من إحدى المناطق من البوسنة كلية. لما لا تلتفت إليهم ولا تمد لهم يد المساعدة، وإنما يركبها فقط عشق المسلمين من الأكراد والشيعة العراقيين؟!

ثم إذا كان السبب وراء ضرب العراق هو حب الأكراد، فإنهم يوجدون في تركيا أيضا وهم مظلومون هناك. لقد شاهدت على التلفاز البريطاني فيلمًا عن أحوال الأكراد التركيين، وبرؤية المظالم المنصبة عليهم تقشعر الجلود. لقد بُذل كل جهد لمحو حضارتهم الكردية وهويتهم الخاصة من أذهانهم، حتى لا يُسمح لهم باستخدام لغتهم الأم! أنا لا أعرف مدى صدق ما ورد في هذا

الشريط، ولكن الإعلام الغربي بنفسه أذاعه وبثه. فلم لا تناصرون هؤلاء، وهم أيضا أكراد ومظلومون!؟ لماذا هذا التمييز بين كرد وكرد آخر وبين مظلوم وآخر!

والمبرر الرابع عندهم لضرب العراق هو مخالفة صدام لقررات الأمم المتحدة. ترونهم في كل البلاد الغربية يكررون على الشاشة قولهم: لا نستطيع تحمل هذه المخالفة. هذا يمس باحترام الأمم المتحدة.. هذه المؤسسة العظيمة.

إنه يرتكب وقاحة تلو وقاحة بمخالفته لهذه القرارت، ولا نستطيع أن نتحمل هذه المخالفة أكثر. ولكن يا قوم، لما لا تنظرون إلى إسرائيل التى ارتكبت هذه الوقاحة لا مرة أو مرتين بل في ٤٧ مناسبة مختلفة. إذ رفضت قبول ٤٧ قرارا ضدها وركلتها بعيداً بقدمها، كما يُطرد كلب ذليل. وفي كل مرة قالت لكم: لا أبالي بكم ولا بقراراتكم مهما كثرت وتعددت. ورغم كل ذلك من جانب إسرائيل ما ثارت غيرتكم على قرارت مؤسستكم العظيمة هذه، بل تعامت أمريكا عن كل ذلك!!

تمسكوا بالعدل الكامل

كل هذه المظالم تشتد وطأة على المسلمين يومًا فيوما، ومع ذلك ترى معظم حكامهم قد وضعوا أيديهم في أيدي الظالمين. ليس بهم غيرة على الإسلام وأبنائه بحيث توقظ ضمائرهم وتوبخهم. ومنهم من يغار ولكن بدون عقل، إذ يُبدون رد فعلٍ هو غاية في الحمق والسفاهة، ولا يسمح به الإسلام أبدًا، بل ويضرهم أكثر.

لقد نصحت المسلمين في إحدى خطبي الاخيرة بألا يهتفوا: نريد تطبيق الشريعة الإسلامية في بلادنا وسنقيم هنا حكومة إسلامية، وإنما عليهم أن يتمسكوا بالعدل والإنصاف كما أمر الإسلام، وإن لم يفعلوا فلن يكون للمسلمين ملجأ في العالم إذا ما بدأ الآخرون، مثل الهندوس والنصارى يؤسسون في بلادهم حكومات تدعو إلى تطبيق التعاليم الجائرة لأديانهم على المواطنين جميعا بما فيهم المسلمون. ولكن المسلمين لا يلتفتون إلى قولي. الواقع أنه من اللازم القضاء على هذا الاتجاه الأحمق. فالدين هو من الله تعالى ويخصه هو. وإن الإسلام هو أكثر أديان العالم تأكيداً بأن كل دين في بدايته كان من الله تعالى. ومن المحال أن يكون هناك دين صادق وفي نفس الوقت يُعلم أتباعه التمييز بين الناس باسم الدين، وإنما الحق أن كل ديانة في بدايتها وقبل أن تُشوه تعاليمها كانت تأمر أتباعها باحترام الإنسانية ومراعاة العدل والإنصاف بين الناس جميعا. أما قتل الآخرين باسم الدين بسبب الاختلاف في العقيدة وهتك أعراضهم وإزهاق أرواحهم ونهب أموالهم، فكل ذلك ليس من الدين في شيء. إنه تعليم شيطاني وليس من تعليم أي دين صادق. وكل حكومة تتأسس باسم الدين، ثم تدعو إلى غصب حقوق أهل الأديان الأخرى، لا يمكن أن تكون حكومة إسلامية، وإنما تكون حكومة شيطانية فاسدة. وهذه النظريات الخاطئة ناتجة عن قصور عقولهم في فهم تعاليم الإسلام.

هناك قاعدة أزلية أبدية تُرشدكم إلى الصواب دائما في مثل هذه الأحوال، ولا يمكن أن تخطئ أبدا، وهي أن الله واحد وهو رب الجميع، والناس عنده سواسية، لا يفرق بينهم لكونهم بيضا سودا أو غير ذلك. إذا أغمض الإنسان النظر عن هذه القاعدة أو الحقيقة أفسد كل علاقة له مع خلق الله، ومن مقتضى هذه الحقيقة أن يُدعى الناس لإقامة العدل الشامل للعالم كله، العدل الذى لا يفرق بينهم بسبب بلدٍ أو دين أو لون أو عنصر. فبناء على هذا العامل المشترك بين جميع الناس يجب أن يدعوا أمم العالم كلها، وباسم الله الواحد الأحد ليفهموا معنى العدل ويمارسوا الإنصاف فيما بينهم وفي بلادهم وفي العلاقات الدولية. هذا تعليم منطقي يقبله كل دين، ولا يمكن أن يقف أمامه أي دليل مبني على المشاعر. فيجب أن يقيموا أولا حكومة العدل في باكستان والسعودية وغيرهما من البلاد الإسلامية، ثم يدعوا الآخرين لإصلاح حكمهم في ضوء العدل. هذا هو الطريق المؤدي إلى إصلاح العالم، وبدونه لا يمكن أي إصلاح، بل سوف يتفشى الفساد كما حدث وسيتفاقم باستمرار.

وأود أن أنصح إخواني المسلمين ألا يغضبوا من أقوالي هذه، لأن الغضب جهل ومنقصة للعقل. يجب أن يكون رد فعلهم على مظالم الأعداء ردًا خاضعا لتعليم الإسلام. ومن حسن تعاليم الإسلام أنها نزيهة من التناقض. فكما لا يوجد أي تناقض في الكون الذى هو من صنع الله كذلك لا يوجد أي تناقض في القرآن الذى هو كلامه. وانعدام التناقض في أي تعليم دليل على صدقه.

هناك مشكلة كبيرة تواجه المسلمين فيما يبدو، فمن ناحية قال لهم سيدهم محمد المصطفى ﷺ: «حب الوطن من الإيمان»، ومن ناحية أخرى يرون إخوانهم يُضطهدون على يد أتباع أديان أخرى. فماذا يفعلون؟ وكيف يحسمون الموقف مع أهل وطنهم الظالمين؟ هل يؤيدون الظالمين حبًا للوطن، أم يساندون إخوانهم في الدين المظلومين! وإذا فعلوا هذا أفلا يعتبر ذلك غدرا بالوطن؟ إذا نظر الإنسان إلى بلاد العالم يجد هذه المسائل المعضلة في كل مكان.

هنالك قول آخر لسيدنا محمد المصطفى ﷺ يُعتبر مفتاحا لحل هذه المعضلات. قال: انصرْ أخاك ظالما ومظلوما. فقيل له: نعرف كيف ننصر أخانا المظلوم، ولكن كيف ننصر أخانا الظالم؟ قال تنصرونه بالأخذ على يده وكفه عن الظلم.

فما أعظمه من تعليم: إنه أسمى من أي عصبية. فقوله: «انصر أخاك ظالما ومظلوما» يُوهم بالعصبية ولكن شرحه يزيل أي وهم للعصبية. والحق أنه تعليم عالمي ومدهش، وبدونه لا يمكن حل مشاكل المجتمع البشري. لقد درست بفضل الله تعالى كثيرا من

الأديان، ولكني لم أجد مثل هذه اللؤلؤة الجميلة في أي منها. إنها لجوهرة متلألئة تقدر على إنارة العالم كله. ولو أنهم عملوا طبقا لهذا المبدأ لاستطاعوا خدمة الإنسانية والتصدي للظلم بدون أي إخلال بحبهم للوطن. فأقول لإخواننا في أمريكا مثلاً: لا تضحوا بحبكم للوطن، ولكن اعملوا بحسب تعاليم النبي ﷺ، واسعوا لكفّ أيدي إخوانكم الأمريكان عن الظلم. إن الحكومة الأمريكية تظلم الأمم الأخرى، وتزداد كل يوم ظلما وغطرسة، وإذا كنتم حقا تحبون وطنكم، فمن واجبكم أنتم قبل غيركم أن تحتجوا على ممارساتها الغاشمة وتأخذوا على يدها. وبالمثل أقول لإخواننا البريطانيين: إذا كانت حكومتكم ترتكب المظالم ضد أي بلد فعليكم تقع المسئولية الأولى لتحتجوا على مظالمها. يجب أن يقفوا في وجوه إخوانهم من الحكام الظالمين ويخبروهم أن هذه وصمة عارٍ على جبين وطننا ولا نتستطيع تحملها.

أيقِظوا الرأيَ العام

الواقع أن أمريكا لن تتأثر بأصوات الاحتجاج من الخارج ولو بلغت الآلاف بقدر ما تتأثر من صوت واحد يصدر من داخلها. لأن مبادئ الجمهورية لا تزال حية باقية فيها. هناك قيمة للصوت بشرط أن يرتفع من الداخل، ذلك لأن الصوت من خارج البلد يكون ذا قيمة إذا كان البلد ضعيفا.. ولكن إذا كان قويا، بل وفي حالة سكر ونشوة بسبب قوته، فلا يؤثر فيه الصوت القادم من الخارج وإنما يؤثر فيه الصوت النابع من الداخل. لذا فعلى المسلمين الأحمديين الأمريكيين أن يقوموا بحملة شاملة للبلاد يوضحون فيها لإخوانهم الأمريكيين هذه التناقضات الموجودة في ممارساتهم. ليقولوا لساستهم: إنكم أخزيتمونا وأرغمتم أنوفنا أمام العالم، حتى لنخجل من مقابلة الناس بسبب أعمالكم. وإننا نحتج على كل هذه المواقف الظالمة منكم، وإن لم تنتهوا عنها فلن نعطيكم أصواتنا في الانتخابات القادمة. لقد نلتم قوةً، وكانت لديكم فرصة ذهبية لفعل المعروف بالعالم كله ورفع مكانة بلدنا بين الأمم، وكانت لديكم فرصة حقيقية لإقامة نظام عالمي جديد، ولكنكم ضيعتم كل هذه الفرص بارتكاب المظالم وبالغطرسة والتعالي. هذا ظلم شديد بالشعب الأمريكي نفسه أو على الأحمديين الأمريكيين أن يرفعوا ضدهم أصواتهم.

كما يجب على المسلمين الأحمديين بالهند أن يكفوا أيدي مواطنيهم الهندوس من الظلم. عليهم أن ينظموا حملة شاملة للهند كلها لتوجيه المواطنين جميعا. إنني أؤكد لكم أن المثل الإنسانية العليا لا تموت، وإنما تختفي بسبب الضغط. وليس في الدنيا أحد يقدر على خنق صوت المروءة والحق وإنما يستطيع كبته فقط. وهذا الصوت يرتفع ولكن سرًا، ويكون خافتًا تسمعه آذان القلوب ولا تسمعه آذان الأجسام. فلذلك هناك حاجة لإقامة جو تتقوّى فيه المروءة ويتقوى فيه الحق حتى يقدر الإنسان على سماع هذا الصوت من الخارج كما يسمعه من الداخل. فما أكثر ما تستيقظ المروءة بتغير الجو ويجد أهلها الجرأة لإظهار الحق. فلا بد أن تسعوا للتأثير على الرأي العام في بلدكم بدعوة المواطنين إلى الخير وإبداء آرائكم وأفكاركم أمامهم عبر وسائل الإعلام من الجرائد والإذاعة والشاشة. يقول الله تعالى في القرآن لرسوله الكريم: [فذكِّر إنْ نفعتِ الذكرى] (سورة الأعلى: ١٠). أي استمر في التذكير ولا تمل منه أبدًا ولا تيئس، ونحن نؤكد لك أنه لا بد وأن يؤثر فيهم وينفعهم.

وترون الأمم تنفق اليوم البلايين على تغيير الرأي العام، وهذا ليس إلا امتدادًا لهذه النقطة من المعرفة النبوية وبحرا بدأ من هذه القطرة. ولكن الأسف أن القلوب التي نزلت عليها هذه القطرة من السماء لتجعلها بحارًا لم تقبلها، وأما الأغيار فقدروها وقبلوها. فهناك الملايين من الأمم غير الإسلامية الذين عملوا بهذا التعليم النبوي فرفعوا به مكانة أممهم ولا يزالون يرفعونها. لقد صار عالم اليوم عالم الدعاية، ولكن لسوء الحظ، تتأسس دعايتهم على الكذب والخداع. لقد عملوا بنصح نبينا ﷺ ولكن لمقاصد شريرة. لقد شربوا من هذا الماء ولكن أضافوا إليه سمًا زعافًا سوف يهلكهم حتمًا، دعْك من أن يشفوا به غيرهم. ولو أن المسلمين عملوا بهذا النصح النبوي لكان خيرًا لهم. وليتهم يبدأون العمل به الآن، فلا تزال أمامهم فرصة. عليهم أن يفهموا هذه النقطة من المعرفة ويقوموا بحملة عامة لتوجيه الناس وتصحيح أفكارهم الخاطئة حبًا للوطن. ولو أن أفراد جماعتنا فعلوا ذلك لأدوا خدمة عظيمة لأوطانهم وللإنسانية وللحق والعدل ولدين محمد المصطفى ﷺ. الواقع أن الدنيا لن تنصلح بدون ذلك أبدا. إننا جماعة تذكر ولسنا شرطة من قبل الله. فالذين ينوون إصلاح العالم بحد السيف وباستخدام العنف فهنيئا لهم نواياهم هذه، ولكني أؤكد لكم أن نواياهم هذه لا بركة ولا خير فيها، إذ تخالف مشيئة الله وتعارض سنة النبي ﷺ. إنها ليست وصفة استخدمها الرسول ﷺ وإنما هي وصفة أعدائه. وأما الوصفة التي استخدمها نبينا محمد ﷺ فهي: [ذكِّر إن نفعت الذكرى].. أي استمر في التذكير ولا بد للتذكير أن ينجع وينفع.

لذا فإني أنصح أفراد جماعتنا في كل مكان أن يذكِّروا أبناء بلادهم بهذا المبدأ وينصحوهم بكثرة... وإلى جانب ذلك يجب عليهم أن يدعوا كثيرا، فإن الدعاء والابتهال إلى الله هو الشيء الوحيد الذي يُولِّد في صوت الضعفاء قوة. إن الدعاء طاقة تحول القشة إلى عمود وتجعل القطرة بحرًا. وبدونه سوف تضيع قطرات نصحكم. سوف تمتصها الأراضي الجدباء المتعطشة حولكم، ولن يبقى لها أثر. ولكن إذا صحبها الدعاء فسوف تتحول إلى أنهار تروي العالم كله. فانصحوا الناس وادعوهم إلى الحق حتى تكون

للحق والعدل السيادة في كل العالم، وحتى يعود الإنسان إلى صوابه. كلما تحقق الدنيا تقدما كلما يزداد الإنسان جهلا وغباوة، وقد بلغ الآن أقصى حدود الجهل. فلا يعلم أن السعادة لا تُنال بتعليم الكراهية، لأنها لعبة شيطانية ولا يمكن أن تُعطي الإنسان سعادة حقيقية دائمة.

عَلاَمَ ينتقمون؟!

يقول الرئيس الأمريكي بوش: بقي من فترة رئاستي أيام وسوف ترون كيف أنتقم فيها من العراق! مم تنتقم ولأي سبب تنتقم؟ هل لظلم ارتكبه الرئيس العراقي؟ إذا كان الأمر كذلك ففي كل بلاد العالم تُرتكب مظالم هنا وهناك. فاخرج وانتقم من كل ظالم واحدا واحدا. يستغرب الإنسان من رئيس دولة عظيمة كأمريكا كيف يُدلي بمثل هذه البيانات التافهة. يجب على الأمريكيين أن يمنعوه من إدلاء هذه البيانات الظالمة ويقولوا له: يا مسكين لا تظلمنا ولا تخزنا أمام العالم. أي انتقام تريد ولأي سبب تريد؟

فهل هو انتقام المسيحية من الإسلام؟ وإذا كان هكذا فإن ما يفعله بوش هو في الحقيقة انتقام من المسيح عليه السلام الذى أمر بالعفو الكامل عن الناس عندما قال: «إذا لطمك أحد على خدك الأيمن فأدر له الأيسر أيضا». وأما إذا كان مستر بوش ينتقم باسم المسيح فكان من واجبه أن يقدم لصدام بعض ولايات أمريكية ويقول له هذا هو انتقامنا كما علمنا مسيحنا. ولكن بدلا من ذلك بدأ يقسم العراق! والواقع أن هذه الغيرة الشديدة التى يبدونها على قرارات الأمم المتحدة إنما هي خطة لوضع خرائط جديدة للعراق. إن الأمم الغربية بسبب وحدتها السياسية تزعم أن كل البلاد الأخرى مِلْكٌ لها، وبناء على هذا الزعم ترى أن من حقها أن تخلق في العالم بلادا وتمحو منه بلادًا أخرى كيفما شاءت ومتى شاءت، ولا يحق لأحد الاعتراض على خرائطهم الجديدة للعالم. وقد أخذت خرائطهم هذه تبرز أكثر فأكثر بمرور الوقت، وسوف تعترف بها البلاد الأخرى شيئا فشيئا، وسوف تتسابق حكومات البلاد الإسلامية في تأييدهم وتقول بسبب غبائها: نحن أيضا نقبل هذه الخرائط الجديدة! وهكذا يصنعون بلادًا جديدة في العالم، وهذا ما يحدث اليوم.

قدرُ الله يعمل في الخفاء

بيد أني أنبه هذه الأمم أن قدر الله تعالى لجارٍ ويعمل في الخفاء، إذ يُحدث ضد مظالمهم ردود فعل ستتقوى باستمرار. إن هذه الكراهيات التى يبذرونها اليوم سوف تنمو حتمًا، ولا بد أن يحصدوا ثمارها المرة. لسوف يتعرض الإنسان المسكين الواقع في أنواع المصائب لما هو أشد منها، ولسوف يقضي سلوكهم المشين الغاشم على سلام العالم يقينا. أما متى وكيف يتم هذا فذلك ما ستكشفه الأيام. أما أنا فإنما أنبههم إلى قانون كوني وهو أنه لا يمكن أبدا أن يستتب الأمن بدون العدل والإنصاف. هذه سنة الله المستمرة في الكون، ولن يقدر أحد على تبديلها. إنهم يبذرون الحقد والكراهية السامة ولا بد أن تنمو وتثمر. وبالفعل قد بدأت ردود فعل تظهر هنا وهناك.. في اليابان وألمانيا وغيرهما من البلاد. هناك أصوات ترتفع من قلوب الأجيال الجديدة تقول: إن ما يحدث ليس صحيحا. لا شك أن وسائل الإعلام لدى هذه الأمم الغاشمة قوية وغالبة فلا تسمح لأصوات الضمائر هذه لتخرج حتى يسمعها الناس، ولكن الواقع أنها بدأت تتولد وإن كانت لا تزال محصورة في القلوب. ولكن الأيام دولٌ فلا تبقى على حالة واحدة، ولا يمكن للقوة أن تبقى في يد واحدة. هذا مخالف للفطرة الإنسانية وخلاف للقانون الكوني. كيف نبين هذا القانون لهذه الأمم التى تزعم أنها قد بلغت ذروة العقل البشرى وبدأت تنظر من فوقها إلى الأمم الأخرى بنظرة الاحتقار والتذليل وتعتبرهم أغبياء وجهلاء. كيف نوضح لهم أن قانون الاستقطاب قانون كوني أبدي لا يقدر أحد على تبديله. وهو قانون كهربائي حيث توجد نقطة مركزية في كل كائن كهربائي تجذب إليها أشياء وتدفع عنها أشياء أخرى. فلو أن أمريكا أقامت قُطبا للخير والعدل والإنصاف والحب ومساعدة الإنسانية المقهورة وسد رمق الجياع، لقام إزاءه قُطب آخر للخير. ولو أنها بدأت في فتح قلوب الأمم بفعل المعروف لفعل خصومها أيضا نفس الشيء وتسابقوا في الخيرات، سواء أكان مركز هذا القطب الموازي في أوروبا أو الصين أو اليابان. ولكنها أقامت قطبًا للكراهيات والفساد، ولا بد أن يتأسس إزاءه قطب آخر مبني على كراهية أمريكا. وقد وضع الأساس لذلك في اليابان والصين وغيرهما من الأمم الوسطى وكذلك في أوروبا. هنالك سياسيون أوروبيون من ذوي الوعي والبصيرة يرون أنه لا يجوز لأمريكا أن تسود العالم بممارسة الظلم. إنها تظلم المسلمين اليوم، وسوف تظلم الآخرين غدا.

فالإنسان حر في إنشاء أي قطب سواء للخير أو الشر. أما المسلمون فينصحهم الله تعالى في القرآن ويقول: [ولكل وِجهة هو مولِّيها فاستبِقوا الخيرات] (سورة البقرة: ١٤٩).. أي يا خدام المصطفى صاحب الكوثر والخيرات استبقوا في مجال الخيرات. ولو فعلتم ذلك لسابقتكم الأمم الأخرى في فعل الخير في كل مكان.

إن الكراهية ضد أمريكا لموجودة في نفوس الأمم الضعيفه، وسوف تنمو وتكبر وتثيرهم، وعندما تأتى أيام حرب عالمية أخرى سوف تحدق هذه الكراهيات بأمريكا وعندئذ ستدرك خطأها وتعرف ما قدّمت يداها للمستقبل. وكما أسلفتُ فهناك في اليابان تيار مضاد لأمريكا، وإنى لأرى بكل وضوح تيارا مماثلا في روسيا أيضا. وأعنى بروسيا كل الاتحاد السوفياتى السابق، وهذه تسمية

تعارفت عليها الأمم وقد استخدمتها التوراة لكل هذه البلاد

وأود هنا أن أوضح لكم ألا تظنوا أن روسيا انكسرت وضعفت، بل إني أؤكد أنها سوف تبرز مرة أخرى كقوة عظمى. عندهم صلاحيات عظيمة إذا استخدمت استخداما صحيحا فسوف تنمو وتزداد بعد فترة. واعلموا أن ما أصاب روسيا من ضعف وضرر بسبب أخطاء اقتصادية وخيانات إدارية لن يدوم ولن يستمر طويلا، بل لا بد أن تقوم مرة أخرى وتبرز كقوة عظمى، سواء أتم هذا باتحاد كل الولايات الروسية وإنماء قواه معا، أو بقيام كل ولاية بإنماء قواها على حدة ثم تشكيل اتحاد جديد. إنني أرى أن قدر الله تعالى قد كتب لأهل هذه المنقطة أن يلعبوا دورا هاما في مصير الأمم في الزمن الأخير. ولذلك أنصح أفراد جماعتنا أن يهتموا بروسيا ويدعوا لها دعاء خاصا لأنها في أيام قوتها قد أسدت لأمم العالم صنيعًا.. عندما كانت في قوتها كانت الدنيا تهابها، وحينما كان الإعلام الغربي يقدمها للعالم كأكبر عدو للإنسانية. ولكن الأمم الضعيفة كانت تتمتع بحرية التنفس بمساندتها، ورغم ضعفها كانت تتحدى العدو الظالم ولو كان أكبر وأقوى منها. كانت تقول لها ما تفعلونه ظلم ولن نقبل هذا الظلم. إن هيبة القوة الروسية كانت تمنع القوى العظمى كأمريكا وغيرها من الدول الأوربية من ظلم الضعفاء ومن تعدي حدودها، بل في بعض الأحيان كانت القوى الغاشمة ترجع إلى صوابها وتُرجع سهام الظلم في الكنانة بعد تصويبها إلى الضعفاء. ومثال ذلك ما حدث بمصر. لقد اختصموا مع مصر على قناة السويس وقاموا ضدها بممارسات غاشمة. إنني لا أستطيع لضيق الوقت تناول هذه التفاصيل، فليسأل الذين لا يعرفون ممن يعرفون. والقصة بإيجاز أن روسيا تدخلت في الأمر فانحنت أمامها أمريكا وكذلك القوى الأوروبية وإسرائيل ورفعت أيديها عن ظلم مصر.

لماذا حدث هذا؟ إنما حدث بسبب روسيا. وسواء كان هذا الصنيع الروسي نابعا عن إرادة أو نتيجة حتمية للظروف السياسية فإنه صنيع على كل حال. لقد كان العالم يتمتع بنوع الأمان، وأما الآن فقد زال عنه. فادعو لهذا المحسن. ابتهلوا إلى الله تعالى أن يجعل روسيا قوة عظمى مرة أخرى، ولكن قوة صانعة خير ومعروف بأهل بلدها وكذلك بالعالم كله. ندعو الله تعالى أن يبرزها كقوة تهبُّ في العالم حاملة وحامية لواء المبدأ الإسلامي الداعي إلى إقامة العدل الكامل الشامل للعالم كله وحماية المظلومين والتسباق في فعل الخيرات.

(مقتبس من خطبة الجمعة ليوم ٢٢ رجب ١٤١٣ هـ ، ١٥ يناير ١٩٩٣م)

(٢)

[ألْهاكم التكاثُرُ* حتى زرتم المقابر* كلا، سوف تعلمون. ثم كلا، سوف تعلمون] (سورة التكاثر).

أفراح وأتراح

«... الليلة التى كانت في أمريكا ليلة ألعاب نارية.. ليلة أفراح واحتفالات بقدوم رئيس أمريكي جديد «كلنتون»».. كانت في العراق ليلةَ نار ودمار. وهذه النيران لم تصَبّ على العراق، وإنما صُبت في الواقع على قلوب ألف مليون مسلم. وعندما كنت أفكر في الآلام التى كانت تقطع قلوب المسلمين تمنيت أن أحتضن كل هؤلاء الألف مليون واحدًا واحدًا، لأعزيهم وأروّح عن أنفسهم، وأقول لهم: لقد صرتم ضعفاء، بلا شك، ولكن دين سيدي محمد المصطفى ﷺ لم يضعف. لقد تفرقتم بسبب النفاق والجري وراء المصالح الشخصية، وذهبت ريحكم، كما يقول القرآن، وزال عن قلب العدو رعبكم، ولكن رعب دين محمد المصطفى ﷺ لم يزل قط ولن يزول أبدًا. لقد قال محمد المصطفى ﷺ أنه مما خصني به الله أنني «نُصرتُ بالرعب». ونفس الكلمات قد أُلهمت أيضا لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، وهي مذكورة في مجموعة إلهاماته «تذكرة» في حوالى خمسة أماكن، ومعنى إلهاماته هذه أن الرعب الذى نصر به الله رسوله محمد المصطفى ﷺ لم يزل، بل سوف ينتشر عن طريق خدامه في هذا العصر أيضا وفي كل قارة وفي كل مكان. هذه كلمات الله. إنها كلمات رب محمد المصطفى ﷺ، ولا بد أن تتحقق ولن تقدر قوة في الأرض على تبديلها.

بشرى للمسلمين

فإني أبشر المسلمين جميعا، لرفع معنوياتهم وتقوية عزيمتهم، بأن القرآن قد أنبأ مسبقًا عن أيام الفساد والآلام هذه، وعن ظهور تلك الأمم الذين سوف يتكبرون حتى يزعمون أنهم آلهة وأن خلق الله عبيدهم، أو بعبارة أخرى، جعلتهم غطرستهم وخيلاؤهم آلهة كاذبة، فجعلوا خلق الله عبيدا لهم. كما أخبرنا القرآن الكريم عن المصير التعيس الذى ينتظر هؤلاء. فلا تظنوا أنه لا سند لنا نحن المسلمين ضد هذه القوى العظيمة التى تتهيأ لتدوسنا وتمزقنا تحت أقدامها. كلا، إن سند الإسلام هو الله الذى لم يخذل سيدنا محمد المصطفى ﷺ قط، ولن يخذله أبدًا. فلا تيئسوا من روح الله، أيها المسلمون.

إن آيات القرآن التى استهللت بها خطبتى تتحدث عن نفس هذا الموضوع. يقول الله تعالى: [ألْهاكم التكاثُرُ* حتى زرتم

المقابر * كلا، سوف تعلمون. ثم كلا، سوف تعلمون].. أيها القوى الدنيوية العظمى، لقد أغفلكم «التكاثر» عن الحقيقة وعن الواقع.. عن قدركم وعن مصلحتكم، عن بدايتكم وعن نهايتكم المدمّرة المروّعة. كل هذه المعانى تحملها الآية وتقول: إن التكاثر.. أي حبكم لجمع المال وسباقكم لتزدادوا قوة، ورغبتكم الجنونية للتمتع بالملذات الدنيوية.. كل ذلك قد ألهاكم عن الحقائق. فكانت النتيجة [حتى زُرتم المقابر]. تعتبر هذه الآية من قمم الفصاحة القرآنية..... وأثناء تفكيري في هذا الموضوع لما تألمت هذه الآية فتيقنت أنها تنطبق تمامًا على الظروف الراهنة. فلم يقل الله فيها أنك أيها الإنسان سوف تصل إلى القبر، بل قال: سوف تصلون إلى المقابر. أي لن تنحصر المسألة في قبر أو مقبرة واحدة، بل ستُرى مقابركم مبعثرةً هنا وهناك في كل العالم. سوف ترى الدنيا مقابر غطرستكم وعاقبتكم الوخيمة في كل بلد تحاولون فيه استعباد خلق الله، بل قد استعبدتموهم فعلاً، وتتباهون بذلك في نشوة وسُكرٍ.

رحمة للعالمين

هذا النبأ ليس نابعًا عن كراهية من جانب المسلمين المسلمين أو رغبة انتقام تجول بفكرهم، بل الواقع أن المسلم، رغم تعرضه لهذه المظالم، لا بد له من أن يكون رحمة لكل العالم.. هذا إذا كان حقًا خادمًا صادقا لمحمد رسول الله ﷺ المبعوث رحمة للعالمين. ولكن الرحمة إذا رُفضت وقوبلت بالكراهية، فإن رب السماء يحطم رأس هذه الكراهية، وإلا لم يستطع أحد أن يعيش في الدنيا، ولصارت بحار العالم كلها مُرّةً بحيث استحالت الحياة فيها. فهذا قدر الله المحتم، ولا بد أن يحطم رأس الكبر، ليعيش الناس كعباد له ولا يتعدوا حدودهم.

هلاك الآلهة الباطلة حتمي

فقولي هذا ليس مبينًا على أية مشاعر للانتقام، وإنما هو حقيقة أزلية أبدية لا يقدر أحد على تبديلها. لقد جاءت من قبل أمم كبيرة ظنت خطأ أنها قد بلغت عنان السماء رفعةً وعظمة. لقد سبق أن ادعى فرعون بالألوهية، ولكن لم يَعْدُ عقلُه ارتفاع منارة فحسب. فأمر أن يُبنى له منارة مرتفعة يصعدها ليطّلع على إله موسى. فالفراعنة قد جاءوا بالأمس، وها قد ولدوا اليوم، وقد يظهرون غدًا. والقرآن في عدة أماكن قد بيّن أحوالهم بوضوح وجلاء وأخبرنا أن الله تعالى حطم رأس غطرستهم تحطيمًا. فكل ما ترونه من الزهو والخيلاء وما تسمعون من أقاصيص الأنانية والعظمة الكاذبة فهي أمور عارضة مؤقتة. إن قدر السماء لا بد وأن يحيق بهم، ولا بد أن يتحقق قول الله فيهم.

نصيحة للمسلمين

بَيْدَ أني أنصح المسلمين بأننا لم نُخلق للانتقام. إذا كان الله تعالى سيحطم رؤوس غطرسة هذه الأمم فإنما لكي تستعد عقولهم وقلوبهم ونفوسهم لقبول سيادة محمد رسول الله ﷺ. هذا هو الهدف الأعلى من ذلك، وقد ذكره الله تعالى في صريح قوله: [يومئذ يتبعون الداعيَ لا عِوَجَ له].. أي عندما تحطَّم رؤوس الكبرياء، وتسوَّى أرض القوى العظمى فتصبح صعيدًا زَلَقًا.. عندئذ سوف يستعد هذا الإنسان المادي ذهنيًا لِقبول سيادة محمد المصطفى الذى لا عوج فيه ﷺ.

ولكن بالنظر إلى هذا الموضوع يجب على المسلمين أيضا إزالة كل اعوجاج فيهم. هناك في قلوبهم عِوَجٌ، وبأفكارهم عوج مما جَعلهم يقدمون للعالم صورة لأنانيتهم بدلا من صورة الإسلام الصحيحة. وما دام الأمر هكذا وما لم يزيلوا عوجهم فإن قدر الله تعالى في أعدائهم لن يظهر. لا بد للمسلمين أن يغيروا ما بأنفسهم. من اللازم أن يتبعوا سنة سيدهم ومولاهم محمد المصطفى ﷺ منقادين له مستقيمين مستوين لا عوج فيهم. افعلوا هذا أيها المسلمون، ثم انظروا كيف تنشق السماء لنصرتكم وتأييدكم كما تنشق بالويلات والكوارث، ولكن قسمًا بالله العظيم، لن تضركم هذه الويلات شيئا وإنما ستنصب على أعداء الإسلام وتصيبهم وحدهم. شقوا قلوبكم وسوُّوها لأجل محمد رسول الله ﷺ، وتألموا لدين المصطفى، ثم انظروا كيف تنشق سماء الرب غضبًا لأجله ﷺ، ويحطم رؤوس هؤلاء المتكبرين.

ولكن لماذا يحطم رؤوسهم؟ أيفعل هذا لإهلاكهم فقط؟ كلا. هذا قولكم بأفواهكم. فلا تفرحوا بأن السماء تشققت بالغضب وأهلك الأعداء. فرسول الله محمد ﷺ لم يبعث للإهلاك وإنما بُعث للإحياء. يجب ألا تنسوا هذه الرسالة أبدًا. كلما ثارت نفوسكم وركب الانتقام عقولكم فمن الواجب أن تصححوا أفكاركم وتوجهوا مشاعركم إلى الصواب. وهذا واحد من أمثلة الاعوجاج المتواجد في نفوسكم أيها المسلمون. يجب أن تزيلوا من نفوسكم عوج الغضب والانتقام هذا. ولإزالته تحتاجون إلى بركة قدمي المصطفى ﷺ. فضعوا قلوبكم بين يدي رسول الله ﷺ.. أعني تأسَّوْا بأسوته في هذا المجال. فإذا اتبعتم قدوته فسوف يزول كل عوج. وفي هذا يكمن علاج مشاكلكم كلها.

القيادة التعيسة للمسلمين

اليوم قد انقسمت قيادة المسلمين، لسوء الحظ، إلى قسمين، والأسوأ من ذلك أن كلتيهما عارية من العقل والفطنة. فلا نور لدى هؤلاء ولا لدى هؤلاء. الأولى دينية تسمى قيادة اليمين. وهؤلاء لا تصل أفكارهم إلى زمن رسول الله ﷺ لينالوا البركة من اتباع خُطاه وأسوته ﷺ، وإنما تنحصر أفكارهم في أحداث القرون الوسطى

المظلمة من تاريخ الإسلام. فلا يقدمون للعالم صورة مشوهة للإسلام فحسب، بل يدّعون بأنهم سوف ينفذون الإسلام بحد السيف. والواقع أن هذه القيادة الفاسدة خالية من البركة ولا خير فيها. فكلما وقعت الأمة الإسلامية في المحن وتعرضت لمظالم الأعداء زاد هؤلاء الطين بلةً برفع هتافات خاطئة، ودفعوا العوام من المسلمين إلى نيران المصائب أكثر فأكثر. ليس خافيا عليكم ما يحدث في كشمير، وما يقع في الهند، وما يجرى في البوسنة، وما يُفعل في بورما، وما يحل ببغداد من أهوال كأهوال القيامة. لو كانت مصيبة واحدة لصبرت، ولو كان ألم واحد لتحملت. من أي ألم أشتكي، ولأية مصيبة أبكي؟ فكل بلد من العالم الإسلامي واقع تحت المصائب وينوء بالآلام. ولكن هذه القيادة التعيسة لا تصحو ولا تشعر. إنها لا تدرك أن عافية أمة الإسلام تكمن في سنة محمد رسول الله ﷺ، وسلامها في اتباع أسوته الحسنة. اعلموا ألا سلام لها في قصص عشق خيالية جوفاء. كل هذا كلام فارغ كاذب. تثيرون مشاعر المسلمين باسم عِرضه ﷺ، وتشعلون النيران في البلاد، ولكن من الذى يحترق بها؟ إنهم المسلمون الذين يحترقون بلظاها. لقد مارستم هذه المظالم، ولكن إلى اليوم لم تدركوا خطأكم. فبأي طريق أعظكم حتى تفهموا، وبأي دواء أعالج عيونكم حتى تبصروا؟ لقد جربتم وصفتكم مرارًا، ورأيتم المسلمين يموتون ويهلكون بتأثيراتها السامة تكرارا، ومع ذلك كله تصرون على استخدام نفس الوصفة. اعلموا أنه لن يجدي الإسلام شيئا هتافاتٌ تثير العواطف وتشعل النيران للانتقام. إن المسلمين اليوم ضعفاء، ولو كان الأمر عكس ذلك لما هاجمهم الأعداء مرة بعد أخرى ولما تجاسروا على ظلمهم هكذا دون تردد وخوف. إنهم يعلمون أن المسلمين ضعفاء وليس بأيديهم شيءٌ إلا هتافات فارغة. قلوبهم شتى. يجرون وراء مصالحهم الشخصية. يعيشون في جنة الأوهام. وما دام حال الأمة هكذا فلم لا يهاجمها الأعداء؟

وهناك قيادة سياسية تسمى قيادة اليسار، وهي أيضا قيادة تعيسة جدًا، ويصدق عليهم ما قاله أحد السياسيين الباكستانيين (بير بكارا): «يتحدثون عن الشرق ويسجدون للغرب». وفعلاً كل بلد إسلامي يسجد اليوم للغرب إلا ما شذ وندر، ومع ذلك يتحدثون عن عظمة رسول الله وعن حبه ﷺ!؟ فما دمتم قد وضعتم على أقدام الأعداء كل مصالح أمة الإسلام لحساب مصالحكم الشخصية فلم تتفوهون الآن باسم سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ؟ ورغم هذا الظلم الشديد، كلما تحصلون على أصوات الشعب عند الانتخابات تحصلون عليها باسمه ﷺ!!

تعذر الوحدة الإسلامية

إذن فكل العالم الإسلامي تسحقه مظالم أهله.. مظالم القيادة الحمقاء، سواء من اليمين أو اليسار. فيتحتم علينا تنبيه هؤلاء بأن هناك حاجة ماسة لاتحاد العالم الإسلامي. ومن الطبيعي أن هذا الاتحاد على يد واحدة لا يمكن أن يحمل طابعًا دينيا، لما يوجد بين المسلمين من اختلافات مذهبية، وفرق متناحرة، ثم هناك اختلافات داخل الفرقة الواحدة نفسها.. فمن أهلها من يتعصب لشيخ معين ومسجده، وغيره ينحاز لشيخ آخر ومسجده. وما دام الأمر هكذا فلا فائدة من محاولة توحيد العالم الإسلامي من ناحية الدين. هناك طريق وحيد اتبعه القائد الأعظم* *، وفعلاً جمع به مسلمي القارة الهندية على يد واحدة. قال: لا يهمنى عقائدكم ولا مذاهبكم، ولا يهمنى ما إذا كنتم تصلون واضعين أيديكم على الصدور، أو غير ذلك، أو حتى لا تصلون أصلاً. إذا كنتم تنتمون إلى الإسلام وتدّعون أنكم مسلمون فتعالوا معي نتحد على يد واحدة بناءً على هذا الانتماء. وكانت هذه وحدة سياسية، وفي عالم السياسة هناك ضرورة لوحدة سياسية.

أما الوحدة الدينية فإنما تتم بيد الله فقط. تلك الوحدة تنزل من السماء، ولا تنبت على الأرض. وقد هيأ الله تعالى بنفسه الأسباب لتحقيقها. فحبل الله الذى نزل على قلب محمد رسول الله ﷺ في صورة القرآن، والذى رأيناه كآية حية في شخص سيدنا محمد المصطفى ﷺ، والذى تمثل لنا بعد وفاته في الخلافة الراشدة، قد أُنزل اليوم مرة أخرى من السماء لتوحيد المسلمين.. وذلك ببعث الإمام المهدي عليه السلام. إن الوحدة الدينية إنما تتم عن طريق هذا الحبل الإلهي أو القدر السماوى، وعندما ترتفع من الأرض فلا تنزل من السماء إلا إذا شاء الله وكما شاء، وليس بوسع الإنسان أن يقيمها بجهوده. فلا تسعوا عبثًا وراء ما هو خارج عن نطاق مقدرتكم. فلو أنكم كنتم قبلتم دعوة هذا الإمام المهدي الذى أقامه الله تعالى، واجتمعتم على يده لأجل حبكم للنبي ﷺ لكان خيرًا لكم. فقد جاء حسب وعد النبي ﷺ، وينوب عنه، ويتبعه في قيامه وقعوده، في حركته وسكونه، وفي البيعة على يده تكمن حلول مشاكل المسلمين كلها. ولكنكم قد تركتم هذه الفرصة تنفلت من أيديكم، ولا تزالون مصرين على هذا الموقف. لقد حاولنا بألف طريق أن نفهمكم هذا، ولكنكم قوم لا تفقهون لنا حديثا ولا تقبلون لنا قولا. حتى حاصركم قدر الله المتمثل في أنواع المصائب. اعلموا أن هذه المحن التى تنصب على من تشاء منكم ومتى تشاء هي في الواقع قدر سماوي وإن ظهر على أيدى الأعداء. لقد نزل هذا القدر لِعقابكم على أخطائكم، ولولا ذلك ما كان الله ليعذب خدامًا صادقين لرسول الله ﷺ. إلا أنني على يقين بأنه عقاب مؤقت سيزول حتما. إنه لم يأت لإبادتكم وإنما ليبتليكم ويوقظكم. إنها قارعة نزلت من رب السماء.. تقرع أبوابكم، لتنتبهوا لصوت

السماء.. وهي تقول: جاء المسيح جاء المسيح، وتسمعوا لصوت الأرض التي تقول: جاء المهدي الذى وعد بظهوره سيدنا محمد المصطفى ﷺ.

ولكن إذا لم تكن لديكم آذانٌ تستمعون بها إلى هذا الصوت، وأعينٌ تبصرون بها وقلوب تفهمون بها هذه الحقائق، فبالله عليكم، استمعوا على الأقل، لصوت النصح الصادق الذى ترفعه هذه القيادة. إنه صوت يرتفع لمصلحتكم. اقبلوا دعوة الأحمدية أو لا تقبلوها، فأنتم أحرار مخيرون، ولكن، بالله العظيم، ليس صلاح دينكم فحسب، بل إن صلاح دنياكم أيضا منوط بالأحمدية، ولا ملجأ لكم في الدنيا إلا في القيادة الأحمدية. وها إنني أكرر وإني أشهد الله على ما أقول، بأنه كلما يأتيكم خير فإنما يأتيكم من قِبل الأحمدية، وكلما يُصيبكم شر فإنما يصيبكم بالإعراض عن نصحها وبسبب ارتكاب المظالم ضد أبنائها.

توحَّدوا على المصالح المشتركة

فبالله عليكم، فكروا في هذه الأمور وتدبروا. الوقت وقت توحيد العالم الإسلامي على صوت واحد. قولوا لهم: تعالوا نتحد على فعل الخيرات. تعالوا نتحد على عمل ما فيه المصلحة المشتركة للأمة الإسلامية. لا نريد سيادة ولا قيادة، وإنما نريد جمع خدام محمد المصطفى ﷺ علي يد واحدة. تعالوا نتحد على كلمة سواء بيننا وبينكم كما ذُكر في القرآن الكريم. تعالوا نتحد على أن يكون في السماء حكم رب واحد، وفي الأرض حكم رسول واحد هو سيدنا محمد المصطفى ﷺ. تعالوا نتفق على أن نؤثر مصالح الأمة المسلمة على كل مصلحة شخصية وعن طيب خاطر.

بهذا الصوت وبهذا الهدف يجب أن يدعوا عالم الإسلام لمؤتمر خاص. عليهم ألا يناقشوا فيه الاختلافات المذهبية، ولا يسمحوا بذكر عقائد الفرق الأخرى أو الطعن فيها، وإنما يجتمعون فيه كأمة محمد المصطفى ﷺ أمةً واحدةً، ويناقشون فيه فقط مشاكل هذه الأمة، ويضعون بالاتفاق خطة للعمل في هذا الوقت العصيب. وكل خطة يتفقون عليها يجب أن تكون مبنية على التقوى والعدل. فلا تكون خطة تؤدي إلى خلق شقة بين الأمة الإسلامية وبين باقي الأمم. لأن الانفصال لا يوافق طبيعة هذه الأمة. فلم نخلق للفصل وإنما خلقنا للوصل. إننا بُعثنا لنصل إلى كل الأمم ونبلغهم دعوة الحق بفتح قلوبهم. فكل خطة تتسبب في فصل وإبعاد الأمة الإسلامية عن باقي العالم لن تكون خطة إسلامية في الحقيقة. فيجب أن يتفقوا على ما هو مبني على العدل الكامل الشامل للعالم كله، وما هو مبنى على الحق والتقوى، ذلك الحق الذى ذكر في القرآن الكريم مرارًا. الحق الذى لا يُفرق بين زيد وعمرو. الحق الذى لا يراعي لونًا ولا عنصرًا. الحق الذى هو اسم الله. الحق الذى يمكن أن نجمع عليه كل الإنسانية.

«سيد القوم خادمُهم»

فلأجل إقامة الحق وغلبته في العالم خذوا قيادة العالم في أيديكم عن طريق أعمال حقة صالحة. اسعوا لتحرزوا تلك الرفعة القصوى في السيادة التى قدرها الله لمحمد رسول الله ﷺ. وهذه السيادة لا تتحقق باستخدام القوة، ولا بتعاليم الكراهية تجاه الغير، ولا بتصور احتكار الحقوق الامتيازية، وإنما تحرزونها بالوصفة التى نصحكم محمد رسول الله ﷺ باستخدامها في قوله: «سيد القوم خادمهم».. أي اتركوا أمر السيادة لرب السماء، واخدموا الإنسانية. وإذا كنتم حقًا خدامًا للناس، ودعوتم الناس إلى الوحدة بهدف خدمة الإنسانية، ووجهتموهم إلى الحق والإنصاف، فلسوف تبرزون حتمًا كأسياد للعالم كله. لأن كلمات النبي ﷺ لابد وأن تتحقق بكل دقة وتفصيل. الواقع أن سيدنا المصطفى ﷺ بقوله هذا قد وضع في أيدينا جوهرة غالية من المعرفة وناولنا مفتاح سيادة العالم. قال: إذا أردتم أن تكونوا سادةً للناس وأن تطول سيادتكم فلا بد لكم من خدمتهم.

الأمم المتحدة الجديدة

فاتحدوا باسم خدمة الإنسانية، ولا تفكروا في أعمال توسع الشقة بينكم وبين الأمم الأخرى. بل اعلموا من صالحات الأعمال ما تفتحون به قلوب كل شعوب العالم حتى يعتبروكم قادة لها وناصحين أمناء، ويتيقنوا أن خيرهم منوط بكم. أَعْملوا فكركم في هذا الاتجاه، وتناقشوا حول هذه المواضيع. ضعوا خطة للعمل تؤدي في آخر المطاف إلى قيام «الأمم المتحدة» الجديدة والنظام العالمي الجديد. هذه المؤسسة الجديدة سوف تتأسس على قدوة المصطفى وتعاليمه ﷺ، وعلى قواعد العدل الشامل المذكور في القرآن الكريم مرات ومرات. ذلك العدل الذى ينبع عن ذات البارئ سبحانه وتعالى، وينير الإنسانية دون أي تمييز وتفريق. اليوم هناك حاجة ماسة ليفكر المسلمون في هذا الاتجاه ويدرسوا هذه المواضيع ليتمكنوا من وضع النواة لنظام عالمي جديد.

لا تنفصلوا عن باقي الأمم

لقد سبق أن حذرت في خطبي أثناء حرب الخليج أن مشاكل العالم الإسلامي لن تنتهي بانتهاء هذه الحرب، بل ستتفاقم، فانتبهوا لخطورة الموقف، ولا تفكروا في الانفصال عن باقى الأمم، بل أنشئوا العلاقات معهم، وبدلا من فصل العالم الإسلامي عنهم، ضموهم إلى صفوفكم، وفكروا معًا فيما يحقق مصلحة عالمية. فالوقت ليس وقت الانفصال. هناك مصائب ودوائر تتربص بكم، وأخطار وأهوال تحدق بكم، سوف يتعرض لها البلاد الإسلامية واحدة بعد أخرى. لقد كشف الله تعالى لي هذه المناظر المروعة بوضوح وجلاء فارتعد قلبي من أهوالها، وكنت

أبتهل وأبكي لربي وأقول: ربنا، أعْطنا نحن المسلمين قوة، وهب لنا نور العقل والحكمة. هب لنا نور الإلهام الذى نمشي به ونتقدم، ومكّنا في هذه الأيام العصيبة من السير في طريق الحق والتقوى الذى هو خالٍ من الأخطار. والواقع أن طريق الحق والتقوى هو وحده خالٍ من الأخطار. فاتحدوا باسم الحق والعدل، وضعوا خططًا جديدة، واسعوا لتحرير العالم الإسلامي من قيود الكذب والخداع وأغلال الخيانة والنفاق. وإن لم تفعلوا ذلك فإن الموقف سوف ينفلت من سيطرتكم بسرعة فائقة.

الغطرسة الأمريكية

إن الأمم المتحدة قد صارت اليوم اسمًا آخر للغطرسة الأمريكية، ولا اسم ولا مدلول لها غير هذا. كل الأمم قد انحنت للغطرسة الأمريكية، ولا نجد لدى أي بلد أثرا من الغيرة والحياء. لا يقوم أحد ليقول لأمريكا: تهينون الإنسانية، وتهضمون حقوق الآخرين، وتقتلون الحق والإنصاف، ومع ذلك تدعون بالسيادة!! من أعطاكم حق السيادة على العالم؟ والواقع أن نبينا محمداﷺ عندما نصحنا: «سيد القوم خادمهم»، أي في خدمة الإنسانية سيادتكم وفيها بقاؤها فإنه أيضًا أخبرنا بالمصير التعيس لهؤلاء الأمم الغاشمة التى لا تتأسس سيادتهم على خدمة الإنسانية وإنما على الكبر والغطرسة وسحق الأمم الضعيفة تحت الأقدام.

سلاحنا.. الدعاء والوحدة

إننا لا نستطيع مقاومة هذه الأمم إلا بالدعاء والابتهال إلى الله تعالى. وسوف نقاومهم بالوحدة التى لا تتم باسم الإسلام فحسب، بل باسم الحق والعدالة. واعلموا أن الوقت مناسب لذلك تماما، لأن قلوب كل العالم تشهد أن النيران التى تصب على بغداد إنما تصب في الواقع على الحق والإنصاف. إنها نيران الغطرسة الأمريكية، وقد أحس العالم كله بلظاها. ومع أن الحكومة البريطانية تؤيد الحكومة الأمريكية في ظلمها، فإن العديد من البريطانيين قلقون جدًا بسبب هذه المظالم. منهم من وجدوا في أنفسهم الجرأة لرفع الصوت ضد هذه الممارسة الغاشمة، ومنهم من لم يستطيعوا ذلك.

معارضة الظلم ليس غدرًا بالوطن

وسكوتك على مواقف خاطئة لحكومتك وتأييدك لها في ظلمها ليس وفاءً ببلدك وإنما هو غدر في الواقع. فعلى كل المسلمين الأحمديين القاطنين في أمريكا وبريطانيا أن يكونوا أوفياء لبلادهم. عليهم أن يرفعوا أصواتهم مؤيدين الحق والعدل، ولا يظنوا أن معارضتهم لمواقف خاطئة لحكوماتهم غدر ببلادهم. كلا. إذا جاز لتونى بن (Tony Benn)، *** ولغيره من المثقفين الكبار من بلاده، أن يحتجوا على هذه المواقف الغاشمة من حكومتهم دون أن يصمهم أحد بالغدر.. فكيف يعتبر المسلم الأحمدي البريطاني غادرا إذا احتج هو أيضا؟ والحق أن وفاءنا لا يمكن أن يُمس في أي بلد ولا في أي وقت، لأن وفاءنا نابع عن وفائنا لله وللحق وللعدل. والواقع أن النظام العالمي كله متأسس، في زعمهم، على الحق.. بمعنى أنك إذا انتقدت موقف أية أمة من العالم مهما كان موقفها غاشمًا ومناقضا للحق والعدالة، لردوا عليك: إن موقفنا مبني على الحق مائة بالمائة. هذا ما تفعله الأمم، وهذا هو الواقع سواء اعترف به أحد أم لم يعترف. فما دام الكاذبون أنفسهم يرفعون أصواتهم الكاذبة باسم الحق والعدالة، فلم لا ترفعون صوت الحق وأنتم صادقون؟ ما الذى يمنعكم من ذلك؟ فنصيحتي لكل مسلم أحمدي، أيًا كان بلده وموطنه، أن يركز كل جهوده على هذا العمل بصدق وإخلاص. عليهم أن يخبروا الناس في كل مكان أن هناك حاجة شديدة لإقامة نظام عالمي جديد.. نظام مبني على الحق والعدالة. فليخبروا حكام بلادهم، إذا استمعوا لنصحهم، أن الوقت مناسب جدًا لرفع صوت الحق في «الأمم المتحدة» في هذا الصدد، فليوضحوا بكل قوة للأمم العظمى: إما أن تتفقوا على مراعاة مبادئ التقوى والحق والعدالة عند اتخاذ أي موقف، وتؤتونا ضمانًا لذلك، وإلا فنحن ننفصل عن هيئتكم هذه. إن كنتم تصرون على غطرستكم فهنيئًا لكم سلطنة الغطرسة هذه، ولكن لا تنتظروا منا أن نشترك معكم في ممارسة هذه المظالم.

هناك حاجة لرفع هذا الصوت بشيء من الجرأة. وإذا فعلوا ذلك فإني على يقين بأن صوتهم هذا سوف يلقى دعما وتأييدا وقوة. لقد جسستُ نبض الفطرة الإنسانية وأدركت أن ضمائر كل الأمم تشهد بأن ما يحدث اليوم هو ظلم صارخ ولن يستمر طويلاً، ولا بد للإنسان أن يسترد للإنسانية احترامها وحقوقها، ومالم يفعل ذلك فليس هناك ضمان لاستتباب السلام والأمان في العالم. هناك أمور أخرى جديرة بالذكر ولكن لضيق وقت الخطبة لا أستطيع ذكرها.

الأمريكان ليسوا بهذا السوء

وبقدر ما درست الأمور فإن هذا الموقف الأمريكي سوف يدمر أمريكا نفسها. إنه انتحار مخيف وعلى نطاق كبير. فالسعادة لا تُنال برؤية مناظر الرقص والغناء لبضعة أيام. إن أهل بلدكم سوف يرقصون اليوم لِرؤية مواقفكم الغاشمة هذه، ولكن غدًا سوف يضيقون عليكم الخناق بسبب نفس هذه المظالم. لسوف يتعطشون لدمائكم بسبب مواقفكم هذه، ولسوف يشعرون بالخجل والحياء مما فعلتم بالضعفاء. هذا الإحساس سوف ينمو فيهم حتمًا، لأن

أكثرية الأمريكان يحبون العدالة والجمهورية. فلقد سافرت في هذه البلاد من أقصاها إلى أقصاها حتى قضيت أياما في الغابات مع العائشين فيها، وتحدثت مع الأمريكيين من كل طبقة. لقد تكلمت مع الطبقة العليا وأيضا مع الطبقة السفلى منهم، ودرست طباعهم حتى الجذور، وإنى أؤكد لكم أن أمريكا ليست سيئة للدرجة التى تبدو للعالم. إن الشعب الأمريكي مزود بصلاحيات عالية كثيرة بحيث لو تيسرت لهم قيادة صحيحة حكيمة لفعلوا لخدمة الإنسانية خيرًا كثيرا وعظيما. لقد زودهم الله تعالى بكل كفاءة. ويوجد بين المواطنين الأمريكيين ممثلون من كل شعوب العالم. فلا تظنوا خطأً أن موقف الحكومة الأمريكية يعبر عن صوت قلوب الأمريكيين. كلا.

أمريكا.. أسيرة الصهيونية

وإنما الواقع أن أمريكا قد أسرها اليوم الصهاينة من اليهود. وهذه الخرائط الجديدة للعالم التى يتردد ذكرها على ألسنة الحكام الأمريكيين والتى تنكشف من خلال ممارساتهم الغاشمة إنما وضعها حكماء الصهاينة في الواقع. فما أدعوكم إليه ليس نابعًا عن كراهية مني لأمريكا، وإنما أود أن أفهّم الأمريكيين أنفسهم بأن قيادتكم تظلمكم. فهبوا ضد هذا الظلم، وقولوا لزعمائكم أننا لم ننتخبكم لهذا الظلم. لم ننتخبكم لتقضوا على المبادئ التى تأسست عليها بلادنا. فأين دستور الحرية الذى طالما افتخرت به أمريكا. لقد داسوه تحت أقدامهم، وداسوا معه جميع مبادئ الإنصاف وقواعد الجمهورية. إذن فهذا الصوت ليس صوت قلوب الأمريكيين، وإنما هو صادر من قلب آخر قد تسيطر على هذا البلد. إنه صوت غول شرير استولى على قلب أمريكا. فلذلك إني أحذر الأمريكيين عامة والأحمديين منهم خاصة من هذا الخطر، وأنصحهم أن يوقظوا إخوانهم حبًا لوطنهم وحبًا للإنصاف والتقوى. وليقولوا لهم بأن هذه الأمور الشائنة لا تليق بنا وليست مفخرة لنا. إنها هتافات جوفاء يرفعها حكامنا ليصرفوا أنظارنا عن المشاكل الاقتصادية لدينا. والأمر الواقع أنه ليس هناك في الدنيا نظير لما يوجد في أمريكا من بون شاسع بين الثري والفقير، ولربما تصيبكم الدهشة بسماع أن ٥ بالمائة من الأمريكيين يملكون من المال ما يملكه ٩٥ بالمائة منهم! فطمع الأثرياء في المال هو السبب لكل ما يحدث. إنها «مافيا المال» التى استولت على أمريكا، وللحفاظ على مصالح هذه «المافيا» تقع كل هذه الأحداث المروعة في العالم.

فكل ما أقوله حق وصدق، وسوف أستمر في قوله ولن أخاف أحدًا إلا الله تعالى. وإني لراض بقضائه.. سواء تركنى أعيش هنا لمدة أو دعانى إليه. فأنا عَبده هو وحده، ولست عبدًا لأحد من أهل الدنيا، ولسوف أرفع صوته في كل حال. وإني أقول، والحق أقول، إن أمريكا مظلومة ومقهورة على يد هذه «المافيا». ويجب على المسلمين الأحمديين لتحرير أمريكا من قيودها، أن يرفعوا هناك أصواتهم ليوقظوا الرأي العام هناك، بل وفي كل بلد. ليكتبوا المقالات في الجرائد، وليقابلوا الزعماء، ولينبهوهم بأننا نمر بفترة عصيبة حساسة للغاية. ولئن لم تصححوا أخطاءكم اليوم فلسوف تسوء الأحوال أكثر. أما أنا فأراها اليوم. أرى أياما تدفع الناس إلى حروب عالمية مروعة تقشعر الجلود بتصور أهوالها. إن الحرب التى تستعد لها أمريكا اليوم ضد كل العالم ستتضاءل أمامها أهوال الحربين العالميتين الماضيتين.

نور الله لا يُحرِّق ولا يُفرِّق

هذه الأفراح مؤقتة، وهذه الأضواء عارضة. إنها لا تقدر على إعطاء أنوار دائمة. فلربما اندلعت الحرائق من هذه الأضواء. أما النور الأبدى فإنما يوهب للإنسان بتمسكه بالعدل والتقوى. إن إنسان اليوم متخبط في الظلمات، وإنارة مستقبله تتطلب منا إضاءة أنوار الصدق والحق في نفوسنا. إنها تتطلب منا أن نستنير بنور الله الذى أعطاه لمحمد المصطفى ﷺ.. ذلك النور الذى وصفه الله تعالى في القرآن بقوله: [لا شرقية ولا غربية] (سورة النور: ٣٦). إنه النور الوحيد القادر على إنارة مستقبل الإنسانية، لأن الله جعله للشرق والغرب معًا. فلا يفرق بين الشرقي والغربي، وإنما هو نور مشترك بين الإنسانية جمعاء. وإن خير العالم قد أُنيط اليوم بهذا النور للأبد. وبدون هذا النور لن تستطيع الدنيا أن تميز يمينها عن شمالها. هناك أمم كبيرة تزعم بوصولها إلى قمة العقل الإنساني، وتزهو بأنها تأخذ القرارات في ضوء ما تمليه عليها عقولها النيرة، ومع ذلك ينكشف من قراراتهم أنهم متخبطون في الظلام، ومندفعون إلى هوة لن يلقوا فيها إلا الموت والدمار. فالحق أقول: إن نور الحق والعدل ينبع عن نور التقوى، وبدونه لن تجديكم فطنتكم ولا دهاؤكم شيئًا. إننى أرى اليوم أخطاء ترتكبها هذه القوى الكبرى، كما أرى عواقب أخطائهم، ولكنهم غافلون عن مصيرهم. إنها أخطاء قد ارتكبوها أيضا في الماضي. إنها نفس الأخطاء التى دفعتهم إلى حروب هائلة من قبل. إنها الظلم، وعدم الإنصاف والغطرسة والزهو. يرتكبونها مرة بعد أخرى ولا ينتهون.

طهِّروا قلوبكم، أيها المسلمون

إذا كان الله قد كتب دمارهم في صحيفة القدر فلا نستطيع محو قدر السماء أو تبديله. ولكن، يا أمة الإسلام، لم لا توقظون أنتم بختَكم، ولم لا تنيرون قدركم!! اعلموا أن بختكم إنما

سيتنور ببركة قَدم المصطفى ﷺ. فخرُّوا على أقدامه، وابكوا وابتهلوا لله تعالى واسترحموه باسم حب المصطفى. اسألوه أن ينزل عليكم نوره من السماء.. ذلك النور الذى لن يوقظ بَخْتكم فحسب، بل سوف يوقظ بخت العالم كله. واعلموا أن بقاء العالم وخيره منوط بكم أنتم. فيا غلمان المصطفى ﷺ، هُبُّوا وطهِّروا نفوسكم حتى ينزل هذا النور عليكم. فإنه لا ينزل على قلوب نجسة. مالكم لا تفكرون في إصلاح أعمالكم؟ مالكم لا تزيلون عوج قلوبكم؟ لو أن قلوبكم بقيت هكذا مظلمة بالآثام، فبالله العظيم، لن يُطلّ عليها نور محمد، دَعْك من أن ينزل فيها. تتحدثون عن عشق المصطفى ﷺ وقلوبكم بؤرة للظلمات؟!!

رسالتي للقيادة الإسلامية

فرسالتي لساسة المسلمين أن طهِّروا أفكاركم ونقوا أذهانكم. طهّروا قلوبكم تمامًا من نجاسة المصالح الشخصية. فكروا في خير الجميع، وتحدثوا عن خير الإنسانية، وتكلموا عن دين المصطفى والغيرة عليه.

أما المشائخ فرسالتي لهم: اعلموا أن الإسلام يعنى مكارم الأخلاق وليس البذاءة والسباب. فإلى متى تكيلون الشتائم، وتُرغون وتُزبدون، وتكدرون الجو بقبيح الكلام. فبالله عليكم، تعلّموا استخدام لغة لينة طاهرة كما فعل سيدنا محمد المصطفى ﷺ. اغرسوا في نفوس المسلمين المثل العليا ومكارم الأخلاق.. التى لا بد وأن تنتصر. من ذا الذى يقدر على أن يهزم أخلاق المصطفى ﷺ!؟ والله لم تلد بنت حواء ولدًا يستطيع أن يهزم سيدي المصطفى ﷺ. والله، لو اجتمعت بلايين الأمهات، وولدن ولدًا فلن يستطيع هذا أيضا أن يهزم سنة محمد ﷺ. إنها لسنة غالبة منتصرة دائما وأبدًا، ولأجلها خُلقت الأفلاك، وإذا اتبعها الإنسان فاز ونجا، وإلا خاب وخسر.

لذلك فإني، بكلمات واضحة صريحة أنصح الأمم القوية، وأنصح الأمم الضعيفة المقهورة أيضا. أنصحهم جميعًا أن يطهِّروا نفوسهم، وينقُّوا قلوبهم، ويقوموا ويثبتوا على الحق والإنصاف. ففي هذا وحده خير الإنسانية وبقاء الإنسان. وإن لم يفعلوا ذلك فلن تبقى لهم باقية.

رب واحد ورسول واحد

أدعو وأبتهل إلى الله تعالى ليوفقنا أن نتخلق بأخلاق المصطفى، ونخضع أعمالنا لسنته الشريفة، ونصنع أقدار العالم باتباعها. نفعل هذا لكي تظهر خريطة النظام العالمي الجديد، فيكون رب واحد ورسول واحد.. سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ.. الذى تحت رايته يحكم جميع الأنبياء في الأرض.

أما قولي: ويكون رسول واحد.. فأود أن أوضح أن الإسلام لا يعلمنا الحطّ من قدر الأديان الأخرى والتفريق بين الرسل. لقد وهبني الله عرفانًا لتعاليم الإسلام، وأعلم علم اليقين أن توطيد حكم رسول الله ﷺ لا يعني أبدًا أنه سيتم بهدم حكم الأنبياء الآخرين. فرسولنا هو سيد الأنبياء وتحت رايته ترفرف أيضا راية كل نبي آخر. فإذا ارتفعت راية محمد(ﷺ)، فوالله، سوف تُرفع رايات آدم، نوح، إبراهيم، موسى، إسحاق، إسماعيل وعيسى عليهم السلام. ولكن سوف تبقى راياتهم تحت راية المصطفى ﷺ، وإلا فلن يكون لراياتهم شرف ولا رفعة. هذا قدر صنعه رب السماء، ولم أصنعه من عندي. ولا يحيط بكنهه أحد. فلا تقولوا: ترفرف راية المصطفى ﷺ فقط ورايات الأنبياء الآخرين لن ترتفع. كلا، فوالله، إن في حياة المصطفى ﷺ لحياة كل نبي ورسول. فإذا حييَ المصطفى فكأنما حييَ كل نبي من الأولين والآخرين. وعندئذ سوف تُجمع رسل الله كلهم مصداقًا لنبأ القرآن الكريم: [وإذا الرُسُل أُقّتَتْ].

ويا أيها المسلمون الأحمديون، بأنفسكم قد أناط الله هذا لوقت، وببختكم ربط خيوط هذا القدر. فتعالوا نبتهل إلى الله تعالى أن يمكّننا من إقامة وإدارة ذلك النظام العالمي من جديد، بل سنقيمه لأول مرة.. حتى تستتب في كل العالم حكومة ذلك النور الذى ليس بشرقي ولا غربي، وحتى ترفرف راية محمد ﷺ من الشرق إلى الغرب.. وترتفع تحتها رايات الأنبياء جميعا. سترتفع تحت رايته أعناق كل الأمم، وأما قلوبهم فتكون ساجدة على عتبة الله. إذ أن كل رفعة تكمن في التواضع أمام الله. وفقنا الله تعالى لذلك. آمين..

(مقتبس من خطبة الجمعة ليوم ٢٩ رجب ١٤١٣ هـ ٢٢ يناير ١٩٩٣م)

** هو محمدَ علي جناح، مؤسس دولة باكستان. جمع مُسلمي الهند تحت راية حزب رابطة المسلمين (مسلم ليغ). وشقَّ طريق الاستقلال للمسلمين بين معارضة شديدة من قبل الحكام الإنجليز والهندوس وبعض مشائخ المسلمين.

*** هو عضو في البرلمان البريطاني، وكان وزيراً في حكومة حزب العمال السابقة. وهو لورد وابن لورد، ولكنه رفض استخدام لقب اللورد احتجاجًا على ممارسات الحكام لكبت حرية الرأي وظلم الضعفاء. لقد ناضل دائما لإقامة الحق والعدل وناصَرَ المظلومين في كل مكان سواءً كانوا من المسلمين أو من غيرهم. له مكانة سامية في التاريخ البريطاني الحالي.

محمد عبدالسلام
صورة لعالم مسلم معاصر

بقلم : د. أحمد عبد القادر المهندس - الرياض

ولد العالم محمد عبدالسلام سنة ١٩٢٦م في جانج بباكستان ، وواصل تعليمه فيها حتى حصل على درجة الماجستير من جامعة البنجاب ، كما حصل على ليسانس بمرتبة الشرف ، وامتياز في الرياضيات والفيزياء من كلية سانت جون كمبردج (١٩٤٦م - ١٩٤٩م) ، وفي سنة ١٩٥٢م حصل على درجة الدكتوراه في الفيزياء النظرية من مختبر كافنديش في كبردج ، كما حصل على جائزة سميث من جامعة كمبردج لأفضل اسهام في الفيزياء لمرحلة ما قبل الدكتوراه سنة ١٩٥٠م .

ويعد هذا العالم واحداً من أبرز علماء هذا العصر ، فقد أسهم بشكل كبير في تقدم علم الفيزياء في مجال توحيد قوى الطبيعة ، وذلك بنظريته المشهورة التي توحد القوة الكهرطيسية مع القوة النووية الضعيفة ، واستحق تكريم المحافل العلمية الدولية على أرقى مستوى ، كما خلعت عليه الألقاب العلمية الرفيعة من كل حدب وصوب .

ويعتقد الأستاذ محمد عبدالسلام أن جهد العلماء لابد أن ينتهي في آخر المطاف الى توحيد قوى الطبيعة كلها : الثقالة والكهرطيسية والقوة النووية الشديدة في قوة واحدة .

ولا تقل اسهامات الأستاذ محمد عبدالسلام في الشؤون الانسانية عن اسهاماته في تقدم العلم ، فهو من أكبر المدافعين عن قضية العالم الثالث ، كما أنه يشعر بالمرارة والأسى حين يرى الفروق القائمة في الثروة والتقدم العلمي والتقني بين نصف العالم الأغنى ونصفه الأفقر ، ويعتقد أن هذه الحال يجب أن لا تدوم . ويرى أن الدول النامية تستطيع أن تحذو حذو اليابان والصين والاتحاد السوفييتي (سابقاً) ، وتلحق بركب التقدم ، وتسهم من جديد بنصيب واف في بناء الحضارة الانسانية . كما يؤكد أن ابتداع العلوم هو إرث مشترك للانسانية جمعاء ، وقد شارك فيه العرب والمسلمون مع غيرهم من الأمم ، وأنهم يستطيعون اذا عزموا أن يستعيدوا أمجادهم السالفة ، ويصبحوا في الطليعة بين الأمم المتحضرة .

صورة لعالِم مسلم جاد

العالم محمد عبدالسلام رجل مقنع ومرح وجاد ، وينحدر أساساً من سلالة أمراء راجبوت التي اعتنقت الاسلام ، حوالي عام ١٢٠٠م . وكان أجداده علماء وأطباء لكنهم كانوا فقراء وقد أعطته تربيته الاسلامية أخلاق الاسلام ، ويقول في أحد أحاديثه : (الاسلام بالنسبة لي شيء شخصي جداً ، وكل كائن بشري يحتاج الى دين ، وهذا الشعور الديني العميق هو أحد الحوافز الأولية للجنس البشري) .

وفي تلخيص شديد لصورة هذا العالم المسلم الكبير ، نقول أنه يشغل منصب مدير المركز الدولي للفيزياء النظرية بتريستا في

ايطاليا منذ عام ١٩٦٤م . ويتضمن هذا المنصب أكثر مما تتضمنه ألقاب الشرف التي منحته اياها الجامعات والمعاهد الوطنية في سائر أنحاء العالم . فقد أنشأ عبدالسلام هذا المركز من الصفر ، وهو في أيامنا هذه من أكثر المعاهد الدولية نجاحاً وأكثرها حظاً من الاحترام ، ويفد العلماء من الأقطار النامية الى هذا المعهد ليتزودوا بآخر الأخبار العالمية ويتعلموا آخر التقنيات ، ويلتقوا بعضهم بعضا ، للاستماع الى محاضرات متقدمة أو للعمل بهدوء في المكتبة .

ان هذا المركز هو بمثابة محطة تقاطع صاخبة لسكة حديد الفكر ، تبرز من بين الأبنية الجميلة ، وتشرف عليه وتديره هيئة متفانية من ذوي الكفاءات العالية . وبالرغم من نقص الأموال دائماً ، فان هذا المركز الدولي يعمل وينمو ويخدم العلوم الفيزيائية في كل مكان .

إسهاماته العلمية

تركزت إسهامات محمد عبدالسلام العلمية على البحث في فيزياء الجسيمات الأولية . ومن أهم هذه الاسهامات : انتهاك التكافؤ ونوترينو مؤلف من مكونين في التفاعل الضعيف ، وتوحيد معايرة التفاعل الضعيف والتفاعل الكهرطيسي ، التنبؤ بوجود تيارات حيادية ضعيفة وجسيمين : Z و W قبل اكتشافهما بصورة تجريبية . وخصائص التناظر في الجسيمات الأولية ، والتناظر الأحادي ، ونظرية اعادة الاستنظام ، ونظرية الثقالة ودورها في فيزياء الجسيمات ، وفيزياء التفاعل القوي ، وتوحيد القوة الكهر ضعيفة مع القوة النووية الشديدة ، التوحيد الكبير (الكهر نووي) ، وما يرتبط به من التنبؤ بتفكك البروتون ، نظرية التناظر الأكبر ، وخصوصاً المكان الكبير والحقول الكبيرة . وقدّم في هذا الحقل نحو ٢٠٠ ورقة علمية اضافة الى أوراق أخرى عن السياسة التعليمية والعلمية في باكستان والبلدان النامية . أما كتبه المنشورة فهي :

Symmetry Concepts in Modern Physics, Iqbal Memorial Lecture (Atomic Energy Centre, Lahore), 1966 .

Edited with E.P. Wigner, Aspects of Quantum Mechanics, (Cambridge University Press), 1972 .

Biography, Abdus Salam, By Dr, Abdul Ghani, (Ma'aref "Printers" Limited, Defence Housing Society, Karachi), 1982 .

وتقديراً لانجازاته العلمية ، فقد كافأته جامعات عالمية كثيرة بشهادات دكتوراه فخرية من أهمها : جامعة ايدنبورج ببريطانيا ، سنة ١٩٧١م ، وجامعة تريستا بايطاليا ، سنة ١٩٧٩م ، وجامعة بريستول ببريطانيا ، سنة ١٩٨١م .

كما تلقى عدداً كبيراً من الجوائز العلمية أهمها : جائزة هوبكنز لأفضل اسهام في الفيزياء سنة ١٩٥٨م ، وجائزة آدامز (جامعة كمبردج) سنة ١٩٥٨م ، وميدالية ماكسويل (الجمعية الفيزيائية ـ لندن) سنة ١٩٦١م ، وميدالية معهد الفيزياء الأمريكي سنة ١٩٧٨م ، وجائزة معهد الفيزياء في لندن ١٩٧٦م ، وميدالية أكاديمية العلوم التشكيلية في براغ سنة ١٩٨١م .. اضافة الى جائزة نوبل في الفيزياء سنة ١٩٧٩م .

وقد عمل العالم محمد عبدالسلام أستاذاً ومحاضراً في جامعات كامبردج ، ولاهور ، ولندن كما أنه عضو في عدد من الأكاديميات ، مثل أكاديمية الآداب والعلوم الأمريكية ، وأكاديمية العلوم الملكية السويدية ، وأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي (سابقاً) ، وأكاديمية العلوم الوطنية في الولايات المتحدة ، وأكاديمية العلوم في لشبونة ، وأكاديمية العلوم والفنون والانسانيات الأوروبية ، ومؤسس ورئيس أكاديمية علوم العالم الثالث .

كما شغل عدة مناصب في عدد من لجان الأمم المتحدة الاستشارية في العلوم والتكنولوجيا والطاقة ، والاتحاد الدولي للفيزياء النظرية والتطبيقية ، وحصل على عدد من الأوسمة العالمية والجوائز الأخرى ، وتقلد عدداً من المناصب العلمية المهمة ، فقد عمل مستشاراً علمياً لرئيس جمهورية باكستان ، ومستشاراً في لجان التعليم بها ، وممثلا لبلاده في مجلس وكالة الطاقة الذرية الدولية ، وعضواً في مؤسسة العلوم بها .. إلا أن تأسيسه لمركز تريستا الدولي للفيزياء النظرية هو واحد من أهم مساهماته العالمية .

كيف يستعيد المسلمون أمجادهم ؟

يرى الأستاذ محمد عبدالسلام أن العرب والمسلمين يمكن أن يستعيدوا أمجادهم العلمية اذا قاموا بما يلي :

ـ العناية بالبحث العلمي في ميادين العلم المختلفة ، وتكوين قاعدة علمية أساسية لاحداث طفرة تقنية ، على أن يسبق العلم التقنية ، لأن التقنية لا يمكن أن تزدهر على المدى الطويل اذا لم يدعمها العلم .

ـ الاعتماد على النفس ، وانشاء مراكز علمية من أرفع مستوى في بلدان العالم الثالث ، وتدويل العلم فيها بفتح أبوابها للعلماء والباحثين من جميع البلدان .

ـ رفض شعار الاعتماد على استيراد التقنية من دون أن يرافقه اهتمام ببناء قاعدة علمية أساسية .

ـ الاهتمام بالعلماء واكرامهم ، وضمان استقرارهم وأمنهم ، وتيسير أسباب البحث لهم ، لأن العالم كغيره من البشر لن يجود بأفضل ما عنده مالم يعلم أنه سوف يتمتع بالأمان والاحترام ، وتكافؤ الفرص ، والوقاية من جميع أنواع التمييز المذهبي والسياسي .

ـ انعكاس اتجاه تيار هجرة العقول ، فيعود العلماء المهاجرون ليعملوا في المراكز العلمية الجديدة في أوطانهم ، ويسهموا في تقدم العلم وازدهاره فيها ، وأن يمتنع العلماء الناشؤون عن الهجرة ويلتحقوا بالمراكز التي يزدهر فيها العلم في البلدان العربية □

ملحوظة : هذا المقال نشر في مجلة «القافلة» السعودية ، عدد شعبان ١٤١٣ هـ يناير وفبراير ١٩٩٣م. و(التقوى) إذ تشكر «القافلة» تضيف أن هذا العالم الفيزيائي هو أحد أبناء جماعتنا الإسلامية الأحمدية المخلصين.

حوار طريف

بقلم: الأستاذ طه القزق

كنت أمشي في حديقة هايدبارك (بلندن) الواسعة الجميلة، وبعد أن أنهكني التعب أردت أن أستريح قليلا. فقصدت أحد المقاعد المنتشرة في تلك الحديقة. فوجدت عليه شخصًا أسمر اللون ملامحه شرقية، فحييته تحية الإسلام لأعرف هل هو مسلم عربي، فحياني بأحسن ما حييتُه.

بعد أن جلست بضع دقائق سألني بعد أن استأذن وقال لي: هل حضرتك مسلم؟، قلت: الحمد لله، إنني مسلم من أبوين مسلمين ومن عائلة مسلمة منذ عدة قرون. فسألته: وهل حضرتك مسلم؟ قال يا أخي، لا أستطيع أن أجاوبك في هذا الوقت حتى أستقر على رأي. قلت: عجيب جوابك، يظهر أنك في الأربعينيات من عمرك وحتى الآن لا تعرف هل أنت مسلم أم لا؟ قال: يا أخي كنت مسلمًا منذ بضعة أشهر.. أصلي وأصوم وأقوم بجميع واجباتي الدينية أحسن قيام، وكنت إذا ما سُئلت عن ديني أقول مثلك: مسلم والحمد لله. وأما اليوم فقد أصبحتُ ثلاثةَ أقسام، قسم يشدني للإلحاد، وقسم يجرني للتنصر وأما القسم الثالث فهو انتمائي للإسلام الذي أفكر في تركه إذ أصبح هذا القسم ضعيفا ولا أهتم به. قال: لست أنا وحيدًا في تفكيري هذا، بل أظن أن كثيرًا من المسلمين يفكرون ما أفكر به.

قلت: ربما ظنك هذا غير حقيقي وهو ضرب من الأوهام. قال: أنا مستعد أن أقنعك بالأدلة والبراهين والوقائع. قلت: كلامك معقول؟ وما هي براهينك وأدلتك؟ قال: يا أخي ألا تقرأ الجرائد؟ ألم تقرأ جريدة «المسلمون» التي ذكرت أنه عندما جاء البابا من الفاتيكان لزيارة أفريقيا خرج المسلمون يحملون الصلبان؟ ألم تقرأ في جريدة أخبار العالم الإسلامي قبل حوالي سنتين أن الدكتور عمر عبد الله ناصيف رئيس رابطة العالم الإسلامي قال متحدثًا لوفد القوات المسلمة السودانية: نتحاور مع الكنيسة لإيقاف نشاطها في المجتمعات الإسلامية؟ فلماذا يخافون من المبشرين المسيحيين ويطالبونهم ألا يذهبوا للمناطق الإسلامية؟ بينما لا نرى ولا نسمع أن المسيحيين يطلبون هذا الطلب من علماء المسلمين، بل بالعكس كل بلاد المسيحيين مفتوحة للدعوة الإسلامية.

قلت: يا أخي، فلنبدأ بحوارنا في مشكلتك الخاصة. لماذا أنت متشائم؟ ربما استطعت مساعدتك. قال: ومن أنت يا أخي لتساعدني، إن كثيرا من العلماء لم يستطيعوا مساعدتي وعلى رأسهم العمائم ويحملون الشهادات العالية من الأزهر وغيره من الجامعات المنتشرة في العالم الإسلامي، وإذا ما تركتُ ديني في يوم من الأيام فسيكونون هم السبب في ذلك.

قلت: يا أخي أنسيت أن جميع الأنبياء كانوا رعاة غنم بما فيهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟ أنسيت أن أفضل خلق الله كان أميًا وتعلم الصحابة وتربوا على يد هذا الأمي. فأناروا العالم وقدموا للبشرية أحسن الخدمات العلمية والأخلاقية والإنسانية والروحية والحضارية، وإن أكثر علماء العالم يعترفون لهم بذلك. فأرجو منك أن تقص علي قصتك ربما استطعت مساعدتك. فلا تحرمني من الثواب.

قال: يا أخي، أنا أشتغل في مهنة البناء، وذات يوم استُدعيت لإصلاح بعض الأشياء في كنيسة وكنت في ذلك الوقت مقيما للصلوات الخمس ولا أترك فرضًا. وعندما حانت صلاة الظهر قلت في نفسي: ربما هؤلاء القساوسة يمنعونني من الصلاة في الكنيسة، فتحيرت ما أفعل؟ هل أخرج من الكنيسة وأصلي في الخارج؟ ولو خرجت لا أستطيع الصلاة خارج الكنيسة لأن الموسم موسم الشتاء وكان المطر ينهمر. فتقدمت على استحياء لأحد القساوسة وقلت له: أتسمح لي أن أصلي صلاتي الإسلامية داخل الكنيسة؟ قال صلِّ أي صلاة تريدها وكيفما تشاء. البيت بيت الله، وجميع الصلوات لله، ونحن نتبرك بجميع أنواع الصلاة.

هذه أول نقطة جعلتني أفكر وأسترجع أفكاري. عندما كنت طفلاً كنت أدرس في مدرسة إسلامية، وكان بعض التلاميذ من المسيحيين. وعندما كان يأتي درس الدين كان الأستاذ يخرج الطلاب المسيحيين من الصف قبل أن يبدأ درسه. أما الطلاب المسلمين الذين كانوا يدرسون في المدارس المسيحية، فكانوا يدرِّسونهم الديانة المسيحية والصلوات المسيحية وغيرها من عاداتهم وتعاليمهم.

بعد أن أنهيت صلاتي وبدأت بالشغل جاء القسيس وسألني: ما عقيدتك بربنا ومخلصنا يسوع المسيح؟ قلت: أعوذ بالله من

قولك هذا، إن المسيح عليه السلام عبد من عباد الله أكرمه الله سبحانه وتعالى وجعله نبيًا من أنبياء بني إسرائيل، هكذا نعتقد به نحن المسلمين. قال: ولماذا لا تعتقدون أنه الرب وابن الرب والمخلص. إنه حي في السماء منذ ألفي سنة، وإنه سيأتي وينزل من السماء ليخلصكم. عندما تضيعون لا يستطيع أي واحد من المسلمين أن يخلصكم بما فيهم نبيكم الميت والمدفون بالمدينة المنورة، وتزورون قبره كلما ذهبتم هناك. أليس كذلك؟ قلت له: ومن أين أتيت بهذه العلوم؟ قال: اسألْ علماءكم من المسلمين. وهكذا مكتوب عندكم في القرآن. فقلت وأنا أكتم غيظي: سأسألهم إن شاء الله.

بعد أن أنهيت عملي ذهبت لأحد العلماء قبل أن أذهب إلى البيت، وبعد السلام والاستئذان سألته: هل صحيح أن المسيح عليه السلام حي في السماء منذ ألفي سنة؟ قال: نعم صحيح. قلت: وهل صحيح أنه سينزل من السماء ويخلص المسلمين وينصرهم عندما يضعفون وتتكالب عليهم الأمم. قال: نعم صحيح. إنه سينزل من السماء في آخر الزمان واضعًا يديه على جناح مَلَكَين من شرقي دمشق على المنارة البيضاء، وعند وصوله إلى الأرض سوف يقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويُظهر الإسلام على الدين كله.

قلت: يا حضرة الشيخ ألا يستطيع الله سبحانه وتعالى أن ينصر الإسلام بدون مساعدة نبي من بني إسرائيل؟ ألا يكفينا مجيءُ اليهود إلى فلسطين في هذا الوقت، وقتلُهم أطفالَنا ونساءَنا وشيوخنا، وطردُهم لنا من أراضينا والاستيلاء عليها بدون حق؟ تقول وتعتقد بأن الإسلام بحاجة إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل ليخلصنا بينما الله سبحانه وتعالى يقول عنه: [ورسولا إلى بني إسرائيل]، وهو نفسه يقول: [يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم]؟ قال: أجئت لتسألني أو لتعلمني! أتريد أن تعلم العلماء وأنت غير متعلم؟ نحن متخصصون في العلوم، وعلماء المسلمين هكذا يقولون. قلت يا سيدي أريد أن أناقش أحد القساوسة لأنه يقول أن المسيح هو الرب وابن الرب وأنه حي في السماء منذ ألفي سنة، ونبيكم ميت، وأنه سوف يأتي ليخلصكم عندما تضعفون وتتكالب عليكم الأمم. فلا أريد أن أكون ضعيفًا أمامه. أريد أن أتغلب عليه. ففكر الشيخ قليلا وقال: قل لذلك القسيس إن المسيح عليه السلام إنما هو نبي مسلم، وبهذه الطريقة تتغلب عليه. قلت له: شكرًا وانصرفت وأنا غير مقتنع بكلامه، فكيف أقنع القسيس؟

وأنا في طريقي إلى البيت صادفت شيخًا آخر، فاستأذنته وسألته نفس الأسئلة. فكان جوابه مثل الأول مع فارق بسيط. قال: ألا تؤمن بالمعجزات وأن الله على كل شيءٍ قدير. قلت: بلى، إنني أؤمن بالمعجزات. قال: خلاص، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبِّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينًا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزًا حكيما.

قلت: ولكن لا يوجد هنا ذكر السماء وكيف وضعتموه في السماء، ومن جهة أخرى تقولون: إن الله في كل مكان! قال: أنت رجل جاهل وغير متعلم ولا تحمل أي شهادة علمية وجئت تعلمنا، نحن متعلمون ومتخصصون في هذه العلوم وكثير من العلماء المسلمين يعترفون بهذا الاعتقاد. فقلت: شكرا ورجعت للبيت مهمومًا.

ثاني يوم من عملي جاءني ذلك القسيس مرة أخرى وسألني: هل سألت علماءكم؟ قلت: لم يكن عندى الوقت وعندما يكون عندى سوف أسألهم إن شاء الله، ولكن هل عندك أسئلة أخرى؟ قال: نعم عندي أسئلة كثيرة. قلت: وما هي؟ قال: ألا تعرف بأن ربنا يسوع كان يحيي الموتى ويخلق الطيور؟ قلت: أعوذ بالله! لا يمكن لأي إنسان أن يُحيي ميتًا، ولا يمكن لأي إنسان أن يخلق ولا ذبابة. قال: نعم كلامك صحيح، ولكن ربنا يسوع ابن الله ومن روح الله، ولد من غير أب، وهو الوحيد الذى يستطيع أن يقوم بهذه المعجزات لأنه أرقى من طبقة البشر. وهذا يا أخي مكتوب عندكم في القرآن في سورة آل عمران: [إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله وأُبرئ الأكمهَ والأبرصَ وأُحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم أرأيت يا أخي إنه يعلم الغيب أيضا.

سمعت ما قاله ذلك القسيس وبعد أن أنهيت عملي في ذلك اليوم ذهبت رأسا لأحد المساجد لأسأل عن حقيقة هذه الأشياء. فوجدت شيخين يلبسان من أحسن اللباس مع العمائم النظيفة. فقلت في نفسي: الحمد لله، الآن سأفهم الحقائق من هذين الشيخين لأن ظاهرهما يدل على أنهما يحملان شهادات عالية في الأمور الدينية. وبعد أن سلمت عليهما استأذنت منهما وطلبت مساعدتهما لإعطاء التفسير الصحيح. فقلت: هل صحيح أن المسيح عليه السلام حي في السماء منذ ألفي سنة؟ قال أحدهما: نعم. وهل صحيح أنه كان يُحيي الموتى؟ قال: نعم. وهل صحيح أنه كان يخلق الطيور؟ قالا: نعم. قلت: وهل أنتما متأكدان من ذلك؟ قال أحدهما: هل أنت عربي أم أعجمي؟ قلت: أنا عربي وابن عربي. قال: ألا تقرأ القرآن الكريم؟ قلت: أقرأه دائمًا. قال: ألا تقرأ الآية التى تقول: أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله وأحيي الموتى بإذن الله؟ قلت: نعم. قال: خلاص! الكلام واضح، وكله بإذن الله. وهذه معجزات خاصة بالمسيح عليه السلام. قلت: ألا يمكن يا حضرات الأساتذة أن نجد

تفسيرا يخالف هذا التفسير ولا يكون متناقضًا للقرآن الكريم، وأنا لست بعالم ولكنني أسمع أن اللغة العربية هي أوسع لغة في العالم. قالا: إنك تعترف بأنك لستَ بعالم وتريد أن تحرف كلام الله! قلت: شكرًا وانصرفت وأنا أحمل همًا كاد يصيبني بالجنون.

ذهبت إلى بيتي، ودخلت الحمام واغتسلت، وتعشيت، وصليت، وأخذت كتاب الله، وبدأت أقرأ. فإذا أنا بآية في سورة الحج تقول: [إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذبابُ شيئا لا يستنقذوه منه. ضعُفَ الطالب والمطلوب].

في اليوم التالى ذهبت للعمل وجاء ذلك القسيس وسألنى: هل سألت علماءكم؟ قلت: لم أتمكن البارحة ولكنني قرأت في القرآن الكريم آية تقول بأنه لا يمكن لأي إنسان أن يخلق ولو ذبابة حتى ولو كان نبيًا لأن الخَلْق صفة من صفات الله فقط. قال: يا أخى وأنا أقول كذلك ولقد ذكرت لك من قبل، أما ربنا يسوع فهو الوحيد الذى يخلق مع الله سبحانه وتعالى.

وبعد أن فكرت قليلاً قلت: يا حضرة القسيس، ألا تعتقد بوجود الله وأنه على كل شيء قدير وأنه هو خالق كل شيء؟ قال: نعم، نحن لا نختلف في هذا الاعتقاد. قلت: يا سيدي، عندما يخلق الله سبحانه وتعالى طيرًا مثلاً أولاً يجمع الذكر والأنثى فتلقح الأنثى، ثم تبيض ثم ترقد على بيضها مدة واحد وعشرين يوما أو قريبا من ذلك، ثم تفقص البيض فيخرج منها الفراخ. ثم تذهب أمه وتأتي له بالطعام وتُطعمه ربما شهرًا أو ما يقارب ذلك. ثم تدربه على الطيران فيصير طيرًا بإذن الله. أليس كذلك؟ قال: كلام جميل. قلت: كيف يمكن لنا أن نصدق ونعتقد بأن المسيح عليه السلام كان يأخذ الطين، وينفخ فيه، ويصير طيرًا. هل المسيح أقدر من الله سبحانه وتعالى؟ قال: ماذا تقصد من هذا الكلام؟ قلت: الذى أقصده هو أنه لا يمكن لأحد أن يخلق شيئًا. الخلق من صفات الله الواحد القهار فقط لا غير. نعم، ممكن للإنسان أن يصنع سيارة أو طائرة وغيرهما من الأشياء المادية التى لا روح فيها.

فقال القسيس: فإذًا كتابكم فيه التناقضات. مرة يقول: إن المسيح عليه السلام يخلق الطيور، ومرة يقول: لا يمكن لأحد أن يخلق شيئًا؟! قلت: على رسلك أيها القسيس، إن القرآن الكريم كتاب أُحكمت آياته ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. أما التفسير الذى يفسره المفسرون ففيه الخطأ لأن القرآن الكريم كلام الله والتفسير كلام المفسرين من الناس، وإن شاء الله سوف أُقنعك عندما أجتمع مع علماء جيدين أتقياء وهبهم الله من لدنه علمًا.

وبعد فترة رجع القسيس يحمل كتابًا ضخمًا، وقال: ما عقيدتك بصحيح البخارى كتاب الحديث؟ قلت إنه أصح كتاب بعد القرآن الكريم. قال: انظر مكتوب هنا: قال أبو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان غير مريم وابنها. قلت: على كل حال، اليوم سوف أكمل عملي في الكنيسة وبعدها أتفرغ للبحث ثم آتي عندكم للزيارة وأعطيكم التفسير الصحيح لكل هذه الأشياء. في آخر ذلك اليوم أعطونى أجرتى كاملة وأعطوني إكرامية بعض النقود لأنني كنت مخلصًا في عملي وكانوا مسرورين مني.

في اليوم التالي ذهبت لأحد المساجد فوجدت بعض الناس يجلسون حول شيخ يسمعون منه تفسير الآية التى تقول: [ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قِرَدةً خاسئين]. فقال: إن الله سبحانه وتعالى جعل من بعض اليهود قردةً حقيقية وخنازير حقيقية.. تأويلات لا يقبلها عقل ولا منطق، إنما هي خرافات كباقي الخرافات، والله سبحانه وتعالى يقول: إنا أنزلناه قرآنا عربيًا لعلكم تعقلون.

وبعد يوم ذهبت لمسجد آخر فوجدت بيد الشيخ الذى هناك جريدة «المسلمون» التى فيها قصة بعض الراقصات اللاتي تُبن وتركن مهنة الرقص وتحجبن وأصبحن يقمن الصلاة وبعضهن ذهبن لأداء فريضة الحج. وكان الشيخ يعلق على هذه الظاهرة متفاخرًا بهذا الانتصار العظيم وكأنه استرجع الأندلس. فخرجت من المسجد وأنا متشائم. أقول في نفسي ربما لا أستطيع أن أجد من يساعدني.

وبعد يوم آخر ذهبت لمسجد آخر فوجدت بعض الشبان الملتحين المتحمسين يستمعون درسًا في الجهاد من أحد المشائخ. وكان الشيخ يتكلم في فنون القتال والكر والفر كضابط متخرج من الكلية الحربية. وبعد أن انتهى من إلقاء درسه بدأ الشبان يسألونه وهو يرد عليهم. أما أنا فكنت أستمع للأسئلة والأجوبة، ولكن كانت أفكاري مشتتة في جهات متعددة. كنت أقول في نفسي: ألا يوجد جهاد غير القتال! كيف كان جهاد الصحابة الذين التجأوا للحبشة مهاجرين؟ كيف كان جهاد المسلمين عندما كانوا ضعفاء لا حول لهم ولا قوة. إنهم كانوا أكبر المجاهدين ومع ذلك لم يقاتلوا أحدًا إلا بعد أن اكتملت قوتهم وأُمروا بالقتال من الله دفاعًا عن النفس وليس اعتداء على الآخرين. هؤلاء المشائخ يريدون أن يحاربوا أوروبا وأمريكا وروسيا ولا يوجد عندهم من الإمكانيات لحرب أضعف دولة في العالم. لا يوجد عندهم قيادة موحدة. لقد فرقوا الأمة الإسلامية إلى مئات الفرق. إنهم غير متفقين حتى على أبسط الأشياء. فكيف يمكن لهم القتال.

وأنا في هذه الأفكار المشتتة إذا بالشيخ يوجه إلي سؤالا: أنت هنا منذ مدة ولم تسأل أي سؤال، بينما الكل سأل كثيرًا من

الأسئلة؟ فوقفت ووجهت الكلام للشيخ وللحاضرين وقلت لهم: إذا جُعتم تطلبون الأكل من الذين تريدون حربهم، وإذا عريتم تطلبون الألبسة من الذين تريدون حربهم، وإذا أردتم حرب الذين تريدون حربهم تطلبون شراء الأسلحة من الذين تريدون حربهم! فهل هؤلاء الأعداء لا يوجد عندهم العقول يفكرون بها؟ إنهم أذكياء. إنهم يبيعون عندكم الأسلحة التى تضركم ولا تنفعكم، وكأنهم يبيعون لكم الأسلحة بشرط ألا تُستعمل إلا في الاقتتال فيما بينكم.. مثلما حصل بين العراق وإيران لمدة ثمانية سنوات وكان حصيلته مليون قتيل من المسلمين، وما جرى ويجري منذ عشر سنوات في أفغانستان وما جرى في الخليج.تسمونه جهادًا! أيها المشائخ تعلمون الشبان فنون القتال وأنتم لا تفهمون شيئًا في هذا المجال.

وقبل أن أكمل كلامي وقف الشيخ واحمرت عيناه وحرّض علي الشبان الجالسين. والكل بدأ يشتمني، وأحدهم لطمني وكان الشيخ يقول لي: يا كافر، يا مرتد،يازنديق، أتنكر الجهاد؟

ولما علم أقاربي بالخبر كانوا ضدي، ولاموني على سلوكي، وأحدهم قال: لماذا أنت تحمل السلم بالعرض، وآخر يقول: واحد حامل ذقنه والآخر تعبان منها، وآخر يقول: أتريد أن تقيم الدين في مالطا. وبعد أن سمعت ما قاله الأقارب والأصدقاء، قلت: والله سوف أرفع قضية بالمحكمة ضد هذا الشيخ وهؤلاء الشبان. فضحك الجميع استهتارًا بأفكاري وقالوا لي: أتظن بأن الحكومة ستنصفك وتأخذ حقك من هذا الشيخ؟ إن الحكام بحاجة إلى هؤلاء المشائخ ليأخذوا منهم الفتاوى عند الحاجة. ألم تر أن الحكام المسلمين أخذوا الفتاوى من هؤلاء العلماء أيام حرب الخليج؟ ألم تقرأ الجرائد في ذلك الوقت أن مفتي جمهورية مصر طالب بوش مرتين بأن يضرب العراق لأنه لا يمكن حل المشكلة إلا بالحرب؟ ألم تقرأ الجرائد وتسمع الإذاعات تطالب ليل نهار باستمرار الحصار على العراق، وهذه الإذعات إذاعات إسلامية!؟

هؤلاء المشائخ ليل نهار يشتمون صدامًا، ويقولون عنه ملحد بعثي كافر مرتد يهودي زنديق. لو كان كل كلامهم حقًا فما ذنب أطفال العراق وشيوخه ونسائه. إنهم يموتون جوعًا بالمئات كل يوم. بعضهم يطالب بإنشاء جيش إسلامي موحد للذهاب إلى البوسنة. فبالله عليك من أين سيمر هذا الجيش، وهل من الممكن وصوله هناك. إنهم لا يفكرون ويظنون بأن الشعوب لا تفهم. لو كان في كلامهم واحد بالمائة من الصدق، لماذا لم ينشئوا هذا الجيش الإسلامي الموحد على حدود إسرائيل إذ أن الدول الإسلامية محيطة بإسرائيل. لقد أعلنوا الجهاد في أفغانستان. ضد من كان هذا الجهاد؟ كان المسلم يقتل أخاه المسلم. وبعد أن انسحب الجيش الروسي من هنالك بقي المسلم يقتل أخاه المسلم وحتى الآن المسلم يقتل أخاه المسلم. لمصلحة من كان هذا القتال أو بالأحرى الاقتتال ومنذ أكثر من عشر سنوات؟ لو فكرنا في بداية الحرب الأفغانية نجدها أُشعلت لمصلحة أمريكا وإسرائيل، ومع ذلك يسمونه جهادًا ومجاهدين. والعقلاء الذين يفهمون هذه الأشياء لا يستطيعون أن يتكلموا شيئا خوفا على وظائفهم ومعيشتهم ولا يريدون (أن يقيموا الدين في مالطا مثلك).

بعد أن تكلم معي الأقارب والأصدقاء هذا الكلام أقسمت يمينا ألا أبقى في هذه البلاد، وكما تراني جئت لاجئًا إلى هنا.أعيش عيشة الذل بما تعطيني الحكومة البريطانية كصدقة. ولقد سمعت من بعض الأصدقاء بأن شوارع فرنسا وألمانيا وهولندا وبلجيكا والدنمارك وأمريكا وكندا وكثير غيرها من البلاد مملوءة باللاجئين المسلمين أمثالي، وكثير منهم يعيشون على فتات الكنائس والجمعيات الخيرية بما تجود عليهم من صدقات تحيي أجسادهم وتميت أرواحهم.

وبعد أن أنهى صديقي كلامه الطويل وكان يرتجف من الغيظ قلت: أتسمح لي بالكلام بعد أن قصصت علي قصتك، قال: تفضل.

قلت: أُريد أن أنبهك لشيء مهم جدا وهو أن أكثر المسلمين يقرأون القرآن الكريم ولا يفكرون في معانيه حتى إن بعضهم يحرم التفكير فيه واستنباط معانيه، ويقولون نحن لسنا بمكلفين بأن نفهم معانيه من تلقاء أنفسنا. إن هنالك علماء متخصصين في هذا المجال وكل ما يقولونه لنا نحن ملزَمون بتصديقه، والإيمان بأقوالهم.

وعندما نذهب للعلماء نجدهم لا يأتون بتفسير ومفهوم جديد بل كلما كُتب قديمًا فهو عندهم الصحيح حتى لو كان خرافة، مع أن القرآن الكريم يقول: [إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين]، ويقول: [ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مَثَل]، ويقول: [أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها]. فهذه الآيات كلها يخاطب فيها الله سبحانه وتعالى الناس جميعا أن يتدبروا القرآن. فنحن عندما نسمع تفسيرًا من أحد العلماء نكون مخيرين بأن نصدقه أولا، نؤمن به أو لا. فإذا قبلته عقولنا نؤمن به وإلا فلا حتى يأتينا اليقين. نعم هناك أشياء لا يمكننا فهمها ونؤمن بها مثلاً وجود الله سبحانه وتعالى والمعجزات التى لا تتعارض مع القرآن الكريم. نؤمن بالقرآن الكريم أنه كلام الله لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

قلتَ لي بأن القسيس قال لك أن المسيح عليه السلام حي في السماء منذ ألفي سنة، وعندما سألتَ العلماء قالوا لك: صحيح أنه حي في السماء. ولكن الحقيقة أنه ميت وشبع موتًا، وإنه أكثر نبي ذكره القرآن الكريم بأنه ميت. لو فكر العلماء في هذا الوقت لوجدوا أنهم يساعدون النصارى في تأليه المسيح، لأن الله سبحانه وتعالى جعل قانونا للبشر وقال: [منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها

نخرجكم تارة أخرى]، وقال أيضا: [فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تُخرَجون]، وقال أيضا: [وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون * وما جعلناهم جَسَدًا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين]، ويقول أيضًا: [والله أنبتكم من الأرض نباتًا،ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجًا]. ويقول أيضا: [ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين.ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقا آخر.فتبارك الله أحسن الخالقين. ثم إنكم بعد ذلك لميتون،ثم إنكم يوم القيامة تبعثون] (المؤمنون). فهذه المراحل السبعة يمر فيها الإنسان في تكوينه والمسيح عليه السلام مر بها، وولدته أمه، وخرج من المكان الذى يخرج منه كل الناس، وكانت أمه ترضعه كما ترضع الأمهات أولادها، وكان يأكل الطعام مثلما يأكل الناس، وكان ينام ويمشى في الأسواق، ويتأثر بالأحوال الجوية، فعند البرد كان يبرد وعند الحر كان يشعر بالحرارة.

حتى الآن ذكرت لك القانون الإلهي لكل البشر بما فيهم المسيح عليه السلام، والآن سأذكر لك قول الله سبحانه وتعالى عن موت المسيح عليه السلام. (أولا): [وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلتَ للناس اتخذونى وأمي إلٰهين من دون الله. قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنتُ قلته فقد علمتَه تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب، ما قلتُ لهم إلا ما أمرتَني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتُ عليهم شهيدًا ما دمتُ فيهم فلما توفيتَني كنتَ أنت الرقيبَ عليهم وأنت على كل شيءٍ شهيد]. هذه الآية صريحة واضحة لا تحتاج إلى مفسرين وفلاسفة وعلماء بعمائم أو بدونها.

و(ثانيا): عندما تُوفي سيدنا محمدﷺ واختلف الصحابة، بعضهم يقول:تُوفي وبعضهم يقول: لم يمت.. وقف سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وقرأ قول الله تعالى في القرآن: [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسلُ] وأنهى المشكلة، وفهم الصحابة رضوان الله عليهم وأجمعوا على أن الأنبياء والرسل الذين أتوا قبل سيدنا محمدﷺ كلهم قد ماتوا ولم يُستثن منهم أحد بما فيهم المسيح عليه السلام. هذه الآية أيضًا واضحة وصريحة ولا حاجة لنا أن نراجع المفسرين ليحرفوا لنا الكلام عن موضعه.

(ثالثا): [إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهِّرك من الذين كفروا وجاعلُ الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة] (آل عمران: ٥٦). هذه الآية صريحة أيضا. الله سبحانه وتعالى توفّى المسيحَ، وبعد وفاته رفع روحه كما ترفع جميع أرواح الأنبياء والأرواح الطاهرة. ولكي يحاول بعض المحرفين كلام الله يقولون: يجب أن تسكون هذه الآية هكذا: «يا عيسى إني رافعك ومتوفيك»، ليثبتوا صحة أقوالهم وتأويلاتهم الباطلة، وليس المهم عندهم كلام الله بل الأهم عندهم كلامهم وتحريفهم لكلام الله.

(رابعا): القانون الإلهي يرفض رفع وخلود أي إنسان بجسمه المادي في السماء في قوله: [منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً أخرى]. وإذا ما احتج المشائخ بأن الله على كل شيءٍ قدير وأن هذه معجزة، فجوابنا: نحن نعتقد بأن الله على كل شيءٍ قدير، وباستطاعته تبديل الأرض والسماء بكلمة [كن فيكون]، ولكنه ليس بحاجة ليثبت قدرته بهذه الخرافة سبحانه وتعالى، كما ليس من المعقول أن يناقض سبحانه وتعالى كلامه. ثم إن سيدنا محمدًاﷺ ذكر في حادث الإسراء أنه رأى سيدنا عيسى، ومثلما رأى سيدنا عيسى رأى سيدنا موسى وهارون وزكريا ويحي وإبراهيم ونوح وجميع الأنبياء عليهم السلام، وصلى بهم إمامًا. فهل كان عيسى يختلف عنهم فكان هناك في جسده العنصري وباقي الأنبياء كانوا أرواحا بدون أجساد؟ لقد كان الجميع سواسية. ثم قلتُ: أرأيت يا أخي أنه لم يذكر أي نبي بالموت أكثر من سيدنا عيسى عليه السلام. أرجو أن يكون قد أقنعك هذا الشرح.

قال: يا أخي، جزاك الله خيرًا. لقد أثلجت صدري وسلحتني بالبراهين والحجج والأدلة القاطعة والمعقولة، ولكني أريد أن أسألك: أين تعلمت، ومن أي جامعة تخرجت، وكيف توصلت إلى هذه الأدلة والبراهين؟ قلت: يا أخي أنا رجل بسيط، ولا أحمل أي شهادة علمية. والله سبحانه وتعالى يقول: [وكلَّ إنسان ألزمناه طائره في عُنُقه]، ولا يقول: وكل إنسان ألزمنا طائره في عنق شيخه وعالمه.. أعني أن الله تعالى قد علق قائمة أعمالنا في عنقنا وليس في أعناق شيوخنا. فيجب أن يهتم كل واحد بدينه ولا يعتمد كلية على الشيخ. كل ما هنالك أنني انضممت إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية بعدما اقتنعت بأن مؤسسها أرسله الله سبحانه وتعالى لإحياء الإسلام في نفوس المسلمين من جديد والدفاع عنه في العالم، بعدما تكالبت عليه الأمم. ولقد أعطاه الله سبحانه وتعالى معارف القرآن الكريم ففسره تفسيرًا خاصًا لم يستطعه غيره.

قال: يا أخي، ما أجمل هذا الكلام وما أقوى هذه الحجج والبراهين، ولكني أتعجب لماذا هؤلاء المشائخ لم ينضموا إلى جماعتكم فتكونوا كتلة واحدة تدافعون عن الإسلام وتردون هجمات المنصِّرين الذين أصبحوا ينقصون من هذه الأمة إذ يتنصر كل يوم من هذه الأمة الأعداد الكبيرة. ففي الأردن وحده ينضم يوميًا إلى المسيحية من خمسين إلى مائة شخص، كما تقول الجرائد. قلت: يا أخي إن المشائخ أصبحوا متكبرين، والله لا يحب المتكبرين، وإنهم غير مستعدين للانضمام إلينا حتى ولو لم يبق مسلم واحد. إنهم ينتظرون مسيحًا سابقًا إسرائيليا، مع أن

الله سبحانه وتعالى يرسل من يرسل من نفس الأمة المرسل إليها. فكيف حال هذه الأمة الإسلامية التى لا يوجد فيها شخص ينتخبه الله لإحيائها وإنها بحاجة لشخص من أمة أخرى مع أن الله سبحانه وتعالى يقول: [كنتم خيرَ أمة أُخرجت للناس]. فإذا كانت هذه الأمة لا يوجد فيها رجل يحييها وأنها بحاجة لرجل من أمة أخرى فإنها أتعس أمة أُخرجت للناس وليست خير أمة.

ورب معترض يقول بأن هنالك أحاديث كثيرة تقول بأن المسيح عليه السلام سينزل من السماء. والجواب أن الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم: [وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد]، مع أن الحديد يخرج من باطن الأرض وعلى بعد عشرات الأمتار تحت الأرض. وإذا جاءك ضيف وكنت تسكن على جبال الهملايا مثلا، فتقول: لقد نزل عندي ضيف، مع أنه صعد آلاف الأمتار على الجبل حتى وصل إليك. كذلك يقول الله سبحانه وتعالى: [قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلوا عليكم آيات الله]. فالله تعالى أنزل رسولنا أيضا. فهل أنزله من السماء؟ فهذه اصطلاحات قرآنية وهذه هي اللغة العربية. فلا يعنى النزول دائما من فوق إلى تحت بل يكون في بعض الأحيان بمعنى الاحترام أو تقديرًا للنعمة المرسلة من الله. فهكذا يكون نزول المسيح، ويظهره الله من خلقه حسب عادته وسنته.

وبعد أن ثبت موته نفهم أن المسيح المنتظر هو شخص آخر، ومن أمة أخرى هي الأمة الإسلامية. وسمي بالمسيح من أجل التشابه في الأحوال والصفات بين المسيح المحمدي والمسيح الإسرائيلي. وهذا التشابه من وجوه عدة منها؛ أولا: يأتى بعد النبي ﷺ بنفس المدة التى أتى بها المسيح الإسرائيلي بعد سيدنا موسى أي ١٣ قرنا.

ثانيا: جاء المسيح الإسرائيلي وكانت الأمة الإسرائيلية مستعمرة للرومان، كذلك جاء المسيح المحمدي والأمة الإسلامية مستعمرة للدول الأروبية.

ثالثًا: جاء المسيح الإسرائيلي مجددًا للديانة اليهودية في نفوس اليهود، وقال في الإنجيل: جئت لأتمم وما جئت لأنقض.. كذلك جاء المسيح المحمدي مجددا للدين الإسلامي في نفوس المسلمين، فلم يحرم شيئًا أحله الإسلام ولم يحلل شيئا حرمه الإسلام.

رابعا: إن الأعداء زيفوا تهمًا باطلة ضد المسيح الإسرائيلي وجروه للمحاكم.. كذلك زيف الأعداء للمسيح المحمدي تهمًا باطلة واستُدعي للمحاكم، وبرأه الله مما قالوا.

خامسا: كانت حياة الشعب الإسرائيلي كلها حروب بعد سيدنا موسى إلى أن جاء الرومان واستعمروهم، فجاء المسيح بالسلام وطلب من علماء بني إسرائيل أن يستعملوا الحكمة ويرجعوا إلى الله وينتصروا على العدو بالحجج والبراهين والموعظة الحسنة. كذلك جاء المسيح المحمدي بالسلام بعد أن استُعمرت جميع البلاد الإسلامية وكثر فيهم العملاء لخدمة المستعمر، فطلب من علماء المسلمين أن لا يستعملوا السلاح المادي بل يستعملوا السلاح الروحي والدعوة للإسلام، خصوصا في هذا العصر الذى يكثر فيه الاختراعات التى تسهل نشر الإسلام في العالم، فهناك المطابع الحديثة التى تستطيع نشر وطبع كتب في يوم واحد ما لم يستطع العالم كله أن يطبعه وينشره في مائة سنة في السابق. وهناك الراديو والتلفزيون والتلفون والفاكس وغير ذلك من الاختراعات التى تساعد المسلمين على نشر دعوتهم. ولكن للأسف الشديد المشائخ اتهموه بأنه جاء ليحرم الجهاد. وكأنه لا يوجد جهاد إلا في قتل الناس؟!

والآن ننتقل إلى موضوع إحياء الموتى وكيف كان المسيح عليه السلام يحيي الموتى؛ نحن لا ننكر أن المسيح كان يحيي الموتى، ولكن أي نوع من الموتى؟ هم نفس النوع من الموتى الذين كان يحييهم سيدنا محمد ﷺ وجميع الأنبياء والمرسلين، بل كان كثير من صلحاء الأمة الإسلامية يحيون الموتى، ولكنهم الأموات روحيا وليس جسديا، كما في قوله تعالى: [لا يموتون فيها إلا الموتة الأولى]. فالموت هو مرةً واحدة لكل مخلوق، ولا يمكن أن يناقض الله سبحانه وتعالى كلامه. كذلك يقول عن الأموات جسديًا: [ومن ورائهم برزخ إلى يوم يُبعثون]. الله سبحانه وتعالى يصف لنا هؤلاء الموتى الذين يُحيَون بواسطة الأنبياء والصلحاء في قوله: [إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يُرجَعون]. هذه الآية تصف لنا وصفًا واضحًا بأن الذين لا يؤمنون بالأنبياء والمرسلين فهم موتى لأنهم لا يسمعون نصيحة الأنبياء، وإلا فلو كانوا موتى حقيقيين جسديًا لما كان حاجة أن يقول عنهم أنهم لا يسمعون لأنه معروف أن الميت لا يسمع والأنبياء غير مكلفين أن يتكلموا مع الأموات. ويقول: [يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم]. فالرسول ﷺ كان يحي أيضا وطبعا كان يحيي الذين ماتوا روحيًا.

بعد أن شرحت لك هذه الأدلة حول إحياء الموتى أرجو أن أكون قد وفيت. وأنا لستُ بعالم، وهذا ما أستطيع شرحه لحضرتك مع أنه يوجد أدلة أخرى كثيرة خصوصا عقلية

قال: يا أخي أشكرك جزيل الشكر. لقد نورتني وفتحت أفكاري، وحررتني وحررت فكرى، وسوف أفكر كثيرا عندما أقرأ القرآن وسوف أرفض كل تفسير يناقض كلام الله.

قلت: بالنسبة لخلق الطير وكيف كان المسيح عليه السلام يخلق الطيور، فالحق أنك جاوبت القسيس جوابا مُقنعًا ومحيرًا

عندما قلت له أن الله سبحانه وتعالى يخلق الطيور في عدة مراحل، فليس من المعقول أن المسيح كان يأخذ الطين وينفخ فيه فيصير طيرًا. فهل كان أقدر من الله سبحانه وتعالى، والعياذ بالله.
والحق أن معنى الآية أن المسيح قال لهم أنكم يا قوم صرتم أبناء الأرض والدنيا والله يريد أن يجعلكم طيورًا روحانية تحلّقون في السماوات العليا الروحانية، وهذا سيتم على يدي بإذن الله، كذلك سأزيل عنكم الأمراض الروحانية الأخرى.

هذا ما عندى يا أخي وأرجو وأدعو أن أكون دائما مخلصًا لخير الناس. فواجب المسلم أن يجب جميع الناس، ولا يكره إلا الأعمال السيئة التى تصدر منهم.

قال: يا أخي أشكرك جزيل الشكر، ولن أنسى فضلك مدى الحياة. لقد أيقظت في صدري روح الجهاد متسلحًا بالحجج والبراهين التى ذكرتها لي وبعض الكتب التى سوف تعطيني إياها. ولقد أخذت عنوانك من قبل فأرجو مراسلتي وسوف أراسلك إن شاء الله وآمل أن نلتقي على هذا المقعد بعد شهر أو شهرين. وأطلب من حضرتك الدعاء لينصرني الله على هؤلاء القساوسة، كما وأطلب من حضرتك الدعاء بصورة خاصة لهؤلاء المشائخ أن لا يعادوني ولا يفهموني بالطريق الخطأ. فنحن إخوة مهما تخاصمنا وهدفنا واحد. إن شاء الله.

أبيات أعجبتنى

رأيتُك إن أَيْسرْتَ خيّمتَ عندنا ... مقيمًا، وإن أَعسَرْتَ زرتَ لِمامَا
فما أنت إلا البدر إن قلّ ضوءُه ... أغبَّ، وإن زاد الضياءُ أقامَا ؟؟

ومَن ذا الذى تُرضي سجاياه كلُّها ... كفى المرءَ نبلاً أن تُعدَّ معَايبُهْ ؟؟

فلا تَقربِ الأمرَ الحرامَ فإنه ... حلاوتُها تَفنَى ويبقى مريرُها
(مطير الأسدى)

فأَكْرِمْ أخاك الدهرَ ما دُمتُما معًا ... كفى بالممات فرقةً وتنائِيا
(إياس بن القائف)

إذا شئتَ أن تُدعى كريمًا مكرَّمًا ... أديبًا طريفًا عاقلاً ماجدًا حرًّا
إذا ما أتَتْ صاحبًا لك زلةٌ ... فكن أنت محتالاً لزلته عذرَا
(سالم بن الصة الأسدى)

بقدر الكدّ تُكتسب المَعالي ... ومن طَلَبَ العلا سهِر الليالي
ومن رام العلا من غير كدّ ... أضاع العمر في طلب المحالِ
تروم العزَّ ثم تنام ليلاً؟! ... يغوص البحر من طلب اللآلي
(الإمام الشافعى رحمه الله تعالى)

ترجمة : الحاج محمد حلمي الشافعي

دعوات الأنبياء وخلفياتها

خطبة جمعة لمولانا إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية، أيده الله بنصره العزيز

ألقاها يوم ٢١ يونيو ١٩٩١ بواشطن، أمريكا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. [بسم الله الرحمٰن الرحيم * الحمد لله رب العٰلمين * الرحمٰن الرحيم * مٰلك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين *].

أُلقي هذه الخطبة من مدينة واشنطن بأمريكا. وهذا الإعلان لازم لأن كثيرا من الجماعات تستمع الآن إلى خطبتي مباشرة.ولما كنتُ في رحلة في هذه الأيام لذا أبدأ كل خطبة بهذا الإعلان ليعلموا من أين أخطب.

أهمية الدعاء

وسلسلة الخطب التى لا أزال بصددها تتعلق بموضوع الأدعية القرآنية، أي أدعية القوم الذين ورد ذكرهم في دعائنا اليومي الوارد في سورة الفاتحة : [صراط الذين أنعمت عليهم]. ولما كان هذا الصراط شديد الوعورة فإني قد أوضحت منذ البداية أن السير فيه ليس ممكنا بدون معونة الدعاء، وأن القرآن الكريم قد علمنا كل تلك الأدعية التى استطاع بها أولئك الذين أنعم الله عليهم في الماضي السيرَ في هذا الصراط. فإهمالنا لهذه الأدعية ثم استمرارنا في الدعاء أثناء صلواتنا خمس مرات كل يوم.. طالبين الهداية إلى صراط الذين أنعم الله عليهم.. طريقة غير منصفة. فعجيب أن يدعو المرء للسير في طريق شديد الصعوبة، ومن ناحية أخرى يجهل تماما وسائل أولئك الذين ساروا في هذا الطريق ونالوا النعم من الله تعالى، وحفظ الله ذكرهم في القرآن الكريم بالتفصيل، مبينًا هكذا كان القوم الذين أنعمت عليهم، وهكذا كانت أفعالهم، وهكذا كان ابتهالهم إلي، وهكذا كنت أجيب دعاءهم وأزيدهم من نعمي.

دعاء في صورة شكوى

* انتهينا مؤخرا من دعاء سيدنا أيوب.. ونتناول الآن دعاء آخر له يختلف أسلوبه قليلاً عن الدعاء السابق. يقول القرآن الكريم : [واذكُرْ عبدَنا أيوب إذ نادى ربَّه أنى مَسَّنى الشيطان بنُصبٍ وعذابٍ *] (سورة ص: ٤٢).. أي نادى ربه وهو يتألم بشدةٍ، وقال إن الشيطان أصابه بتعب وعذاب شديدين. والاختلاف بين هذا الدعاء ودعائه السابق أن هذا يتخذ صورة الشكوى. لم يقل هنا : ساعِدْنى أو افعَلْ لي شيئا بل صدر منه تعبير تلقائي عن الألم، كما يقول الطفل أن رأسه ينشق من الألم، ولا يضيف كلمة أخرى. وهكذا تكون أحيانا دعوات ضمنية معبرة عن الألم فقط، لا يصرح فيها بالكلمات، لكن يكون لها أعمق الأثر. ولذلك قال الله تعالى على الفور: [اركُضْ برِجْلِكَ]. لم يقل : لقد استجبت لدعائك، بل قال: خُذْ فرسًا واركُضْه. [هذا مغتَسَلٌ بارِدٌ وشرابٌ *].. انظُر إلى ما في هذا المكان من ماء طيب، إنه بارد صالح للاستحمام والشرب.

وصفٌ لمهجر أيوب

الواقع أن هذا القول كان إشارة إلى الهجرة، لأنه يتبين من الأحداث القادمة أن الشيطان الذى أتعب سيدنا أيوب كان بشرًا من عصره. وهناك روايات كثيرة عن سيدنا أيوب، ولكن يبدو من القرآن الكريم أنه ما كان يعاني من مرض بدني فحسب بل إن عدوه أيضا جعل حياته لا تُحتمل من كل وجه. فقد سرق العدو أملاكه، ونشر الأوبئة المتنوعة في قطعان ماشيته، ووضعه في موقف مؤلم، وجعل بعض أفراد أسرته يسيئون به الظن ويتخلون عنه، حتى تقول بعض الأخبار أن زوجته أيضا هجرته.

لم يذكر القرآن الكريم كل هذه الواقعات، ولكن الطريقة التى خاطبه الله تعالى بها بعد دعائه تبين أولا أنه تعالى أمره بالهجرة، لأنه ليس من الحكمة أن يبقى أكثر من ذلك في مثل هذا المكان،

وثانيا أنه تعالى وعده بأن سيهديه إلى مكان به عيون ماء لو اغتسل فى مائها لبرأ جسمه. ولفظ «بارد» الوارد في الآية يعنى أنه ماء يكون له بردًا وسلامًا. فبحسب ما بحثتُ كان سيدنا أيوب يعاني من أمراض جسدية أحدثت به تقرحات متقيحة، ولذلك كانت هجرته إلى مكان به عيون كبريتية يكون ماؤها عادة دافئا. وإذا كان جسم الإنسان يحترق من الالتهابات المؤلمة وإذا ما شُفي بالماء الدافئ فإنه دائما ما يعبر عن راحته وشفائه بقوله: أحس بالبرودة والهدوء، مع أن الماء دافئ. فكلمة «بارد» لا تعنى برودة الماء وإنما تعنى الماء «المبرِّد» الذى يجلب الهدوء والسكينة والشفاء. ولذلك لم أترجمها إلى «ماء بارد» وإنما الماء الذى يشفي.

وكان هناك أيضا ماء منعش للشرب، ولا يعنى ذلك أنه نفس الماء الدافئ، فنحن نعرف أن هناك ينابيع ماء ساخن يستحم الناس فيها للعلاج من الأمراض، ويوجد بالقرب منها ينابيع أخرى من ماء شديد البرودة قد لا تحتمل وضع يدك فيها. وتوجد مثل هذه الينابيع في «كُلُّو منالي» (بالهند). أذكر أن سيدنا «المصلح الموعود» الخليفة الثانى لسيدنا المهدى والمسيح الموعود عليه السلام أخذنا إلى هناك ونحن صغار.. وكان الماء في أحد الينابيع شديد السخونة بحيث يستحيل أن يضع المرء يده فيها. وإلى جواره ينبوع آخر ماؤه شديد البرودة حتى إن حضرته (رضي الله عنه) قال لنا: من وَضَع يده فيها لدقيقة واحدة أعطيه جائزة، ولكن لم يستطع أحد منا ذلك.

فكان هناك في المكان الذى هاجر إليه أيوب عليه السلام الماء البارد «أي الشافي» إلى جانب الماء البارد أي المنعش كشراب.

ثم يقول القرآن الكريم: [ووَهَبْنا له أهلَه ومثلَهم معهم رحمةً منا وذِكْرى لأولى الألباب*] .. أي أَعَدْنا له أفراد أسرته. ويبدو أنهم لم يصحبوه في هجرته، ولكن بعد أن تحسنت حالته عادوا إليه بالتدريج. ولم يقتصر الأمر على زوجته وأبنائه فحسب، بل وجد عائلات أخرى كانوا معه كأنهم أهله.

حب الأنصار للمهاجرين

من الحقائق أن رسولنا المصطفى ﷺ عند هجرته ترك وراءه عائلات، ولكنه فاز في المدينة بعائلات وأقارب أكثر منهم عددا وأشد منهم حبا. ولقد أوفى أهل المدينة بحق الأخوة الروحانية. ولم ير المهاجرون من أقاربهم الأمن والدعة والمحبة كما رأوا من الأنصار في المدينة. كان منهم من أشرك المهاجرين في نصف ممتلكاته.كان بهم شوق عجيب شديد للتضحية بكل شئ لهم حتى إن أحد الصحابة ذهب إلى النبي ﷺ وقال إنه اقتسم كل ماله مع المهاجرين ولا يزال عنده أكثر من زوجة، ويود أن يأذن له النبي ﷺ كي يطلق نصفهن، فيتزوجهن المهاجرون الذين تركوا زوجاتهم في مكة!

وهكذا عندما هاجر سيدنا أيوب.. يبدو أنه وجد مثل هذا اللطف من القوم هناك، وكان ذلك بحسب الوعد الإلهي. ولو لا ذلك لبدا قوله: [ومثلَهم معهم] غريبا؛ وهذه من بركات الهجرة. لقد لاحظتُ أيضا منذ قدومي من باكستان إلى بريطانيا أن هناك عائلات كثيرة تبدي نحوي محبة عميقة فكأنما جئت إلى أسرتي. وليس هناك أي فرق، بل إنهم في كثير من النواحي أبدوا محبة ومودة أكثر. وعندما أتلو هذه الآية أتذكر أحداث المدينة المنورة، وأتذكر أيضا فضل الله تعالى عليَّ بعد رحلتي.

نكتة من الحكمة

وهنا نقطة من الحكمة تستحق التدبر. فأحيانا يصدر الدعاء في صورة ألم شديد وبدون أية كلمات أو سؤال ومع ذلك يستجاب. تحدثنا عن دعاءٍ لسيدنا موسى [رب إني لما أنزلتَ إليّ من خيرٍ فقيرٌ].. كأنه يقول: يا رب أنا لا أطلب شيئا، فأنت أعلم بحاجتى، فكل ما تشاء أن تتفضل به علي فإنى فقير إليه. ولذلك وفى الله تعالى كل حاجاته. ولقد فصلّتُ هذا الموضوع في الخطبة الماضية. وأسلوب دعاء أيوب مشابه لدعاء موسى. هنا تعبير عن الألم، وليس هناك طلب، ولكن الله تعالى يقول [فاستجبنا له].. أنت في ألم شديد، وكنت صبورا فافعل كذا وكذا، لم يذكر الصبر هنا، ولكن ينتهى الموضوع بالصبر بعد ذكر عطف الله تعالى ورحمته بقوله: [إنا وجدناه صابرا.. نعم العبْد إنه أواب].. لقد كان عبدا طيبا ذا صبر عظيم. فقوله: [نِعْم العبد] يشبه قولنا: ما أعظمه من رجل! يقول الله تعالى: لنا عباد كثيرون، ولكن من كان عبدا لنا مثل أيوب فهذا الذى يرضينا. لقد أبدى صبرا عظيما، ثم [إنه أواب].. طالما أحنى رأسه لإرادتنا.

وهكذا ترون أن وراء قبول الدعاء وسائل ينبغى عليكم اتخاذها. فالتعبير عن الألم وحده ليس كافيًا، بل إذا كان الألم صادرا من رجل صابر فإنه يؤثر تأثيرا عميقا. لقد جربته بنفسي في المعاملات اليومية. إن بعض الناس يعبرون عن الألم لأمور صغيرة، والمرء يشعر تلقائيا بعدم الرغبة في إعطائهم شيئا ولو سألوا..أعني لا يحب العطاءَ لمن يعتادون التسول كما يحب أن يعطي للذين يسكتون ويصبرون ويصمدون. فعندما ينفد صبرهم ويسألون يتفجر قلب المرء تلقائيا بالمشاعر، ويقول لا بد أنهم في أشد الصعاب حتى بسطوا أيديهم. فأولا، كان صبر أيوب وراء قبول دعائه بهذه الطريقة، ثم كونه [أوابًا] بمعنى أنه كان دائما يهرع إلى الله لكل حاجة ولم يذهب قط لسواه. كلما طرأت له حاجة أو اعترضته شدة، كان يلجأ إلى الله فقط.

فإذا ما تضرعتَ بأدعية القرآن عليك أن تقولها بهذه الكيفية والأساليب التى قِيلت به. يطلب مني بعض الناس أن أكتب لهم دعاء كي يتلوه دائما؛ وبعضهم يقول: إنى أردد كلمات الدعاء وأجلس ساعات أدعو وأكرر، ولكن لم يُقبل دعائي بعد. كيف يُقبل الدعاء دون هذه الكيفية والعادة؟ المرء يقع في حب أحد بسبب أخلاقه وعاداته، وليس بكلمات لسانه فقط. قد يضيق المرء بكلمات تتردد من غريب عنه، ولكن لو يردد حبيبه نفس الكلام يحس بالمحبة. فالشعور بالمحبة هو اسم للحالة النفسية، وقبول الدعاء مرتبط بهذا الحب. يقول الشاعر ما معناه:

حبيبي يغضب لو عبرت له عن هواي.. ولكني أحب غضب الحبيب.

فأحدهما يشعر بالكراهية ولكن الآخر يحس بالحب، فالكاره ينزعج من كلمات المحبة ويغضب، والمحب يزداد حبا وإن غضب الحبيب. وموضوع الدعاء ليس بموضوع ألفاظ، فتردد كلمات أحد الأنبياء، وإنما ذكر القرآن الكريم المشاعر الداخلية للأنبياء، وذكر الأوضاع، وذكر أخلاقياتهم وعلاقتهم بالله تعالى، ليرسم لنا خلفية المشهد، ثم علمنا صيغة الدعاء. على المرء أن يبني هذه الخلفية، أو على الأقل يبذل جهده لذلك وإن لم يستطع أن يكون مثلهم،ثم يدعو ويرى، فلن يخيب دعاؤه أبدا. إننى على يقين أن الدعاء الذى دعاه نبي ولم يخِبْ، لو يقوله المرء بألم وشعور عميقين فلن يخيب أبدًا. لقد رأينا أن الأطباء المهرة يصفون العلاج ويكتبون معه التعليمات المفصلة التى لو اتبعتَ نجح العلاج وعندى اهتمام بالطب «الهوموباثى»، ولاحظت أن بعض الأطباء تخيب وصفتهم العلاجية، وبعضهم يضع احتياطات مطولة لو اتبعتها نجح العلاج يقينا. فمن أعظم طبا من الله تعالى الذى أعطانا في القرآن وصفة الدواء لكل مرض. فلو نظرتَ بتأمل عميق لاندهشت، لأنه تعالى ذكر خلفية لكل دعاء وذكر بالتفصيل كل العادات والأخلاق التى بسببها أجاب الله تعالى الدعاء.

دعاء الملائكة

* وهناك دعاء شيق لا يقوله الناس وإنما يقوله الملائكة. قال الله تعالى: [الذين يحملون العرشَ ومَن حوله يسبِّحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا.. ربنا وسعتَ كل شيءٍ رحمةً وعلمًا. فاغفِرْ للذين تابوا واتبعوا سبيلكَ وَقِهم عذاب الجحيم* ربنا وأَدْخِلْهم جناتِ عدنٍ التى وعدتَهم ومَن صَلَح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم. إنك أنت العزيز الحكيم* وَقِهم السيئات.. ومنْ تَقِ السيئاتِ يومئذ فقد رَحِمْتَه. وذلك هو الفوز العظيم* إن الذين كفروا يُنادَون لَمقْتُ اللهِ أكبرُ من مقْتِكم أنفسَكم إذ تُدْعَون إلى الإيمان فتكفرون* قالوا ربنا أمتَّنا اثنتين وأحييتَنا اثنتين. فهل إلى خروج من سبيل* ذلك بأنه إذا دُعِيَ الله وحده كَفَرْتم.. وإن يُشْرَكْ به تؤمنوا. فالحكم لله العلي الكبير*] (سورة المؤمن: ٨ إلى ١٣).

يفسر معظم المفسرين هذه الآية كما لو أن الله تعالى له نوع من العرش المادي في موضع ما من السماوات يجلس عليه، حاشا لله، وأن بعض الملائكة يحملونه على أكتافهم.. وهذا هو دعاؤهم! ولا شك أن هذا ظن جاهل ولا حقيقة له. إن الله تعالى هو الذى يحمل الكون كله.. فمن ذا الذى يستطيع أن يحمل اللهَ جل وعلا؟! فلا تعنى كلمة «العرش» مكانا للجلوس المادي أبدًا، بل استُعْملت الكلمة في مواضع متعددة من القرآن الكريم لمعان مختلفة، منها نظام الكون. فمثلا يقول القرآن الكريم [الله الذى خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش..]. فالعرش يعني الكون كله ونظامه.. خلقه الله تعالى وهو الذى يحكمه ويسيطر عليه. فمعنى آيتنا هذه: القوي أو الملائكة التى تجري هذا العالم الذى لا يقتصر على العالم المادي، بل يشمل العالم الروحاني أيضا.. ولعله هو المراد هنا.. يسبحون الله ويذكرونه تعالى، ويسألونه المغفرة للمؤمنين.

ويتجه فكرنا إلى الملائكة لأنهم لم يلتمسوا المغفرة لأنفسهم. وكان يمكن أن نترجم الآية بأن البشر الذين هم كالملائكة يقولون هذا الدعاء، ولكن لا يصح هذا المعنى لأن أفضل البشر محمد المصطفى ﷺ كان يتضرع إلى الله تعالى ليغفر له أولا ثم للمؤمنين. ولما كان الملائكة لا يملكون القدرة على فعل الشر، وليس لهم الخيار، فلا يمكن أن يسألوا المغفرة لأنفسهم.. لذلك ينبغى أن نفهم الآية على أن الملائكة الذين يديرون النظام الروحاني يقومون بالاستغفار من الله تعالى، ولما كان ذلك لا ينطبق عليهم فهم يستغفرون للذين آمنوا قائلين: [ربنا وَسِعْت كل شيءٍ رحمةً وعلما].. يا رب، إن علمك ورحمتك يحيطان بكل شيء، [فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقِهم عذاب الجحيم].. فاغفِرْ للذين ندموا على أخطائهم وساروا في صراطك ونجِّهم من عذاب النار. [ربنا وأَدْخلهم جنات عدنٍ التى وعدتَهم ومن صَلَحَ من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم*].. أدخِلهم جنات الخلد مع الصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم. [وَقِهم السيئات. ومن تَقِ السيئاتِ يومئذ فقد رَحِمتَه. وذلك هو الفوز العظيم]. ونجِّهم من الشرور، لأن من حميتَه ذلك اليوم من السيئات قد فاز منك برحمة عظيمة. وهذا هو الفوز العظيم.

رحمة للعالمين

في هذه الآيات أمران أود بصفة خاص إبرازهما لكم. فمع أن الآية قد قررت بوضوح أن الملائكة يستغفرون لبني البشر من المؤمنين، ولكن سيدنا محمدًا المصطفى ﷺ كان أيضا يستغفر لكل بني البشر عامة وللمؤمنين خاصة. ولما كان أيضا [رحمة للعالمين].. لذلك عندما أقرأ [ربنا وسعتَ كل شيءٍ رحمةً وعلمًا]،

مع علمى أن أول نبي صارت به رحمة الله تعالى عامة للناس هو سيدنا محمد المصطفى ﷺ، فإنى أرى أن في هذه الآية إشارة أيضا إلى استغفاره ﷺ. ورحمتُه التى وصلت جميع بني البشر وصلتهم من خلال دعائه أكثر من خلال تعليمه. إن كلمة [علما] تشير إلى تعليمه، وكلمة [رحمة] تشير إلى بركته ودعائه. فالنبي الوحيد الذى كانت تعاليمه عامة لكل الناس، وكانت رحمته عامة لجميع البشر.. هو سيدنا المصطفى ﷺ. ومع أن تعاليمه لم تصل إلى كل مكان من الأرض لا في زمنه ولا اليوم وحتى في البلد الذى اجتمعنا فيه حيث تجهل الغالبية العظمى من أهله تعاليم المصطفى ﷺ، ولا تدرى أنها لكل العالم، ولكن رحمته قد وصلت للجميع. وصلت لمن خلوا من قبله، ووصلت حتى للذين لم يولدوا بعد.

سيدنا المصطفى ﷺ غاية الكون

ولفهم هذا الموضوع يجب أن تتذكروا بأن هذا ليس من دعوانا.. ولكنه حقيقة بأن النبي ﷺ كان الغرض من خلق الدنيا. فكما أدت عمليات التطور إلى خلق الإنسان.. كذلك أدى تقدم الشريعة إلى تعاليم سيدنا محمد ﷺ.. أي أن الإسلام هو غاية ارتقاء الشريعة. ومن هذه الزاوية، كان الذين جاءوا قبله جميعا يتقدمون بتربيتهم الروحية نحو الهدف. وفي كل أنحاء العالم.. كانت كل شريعة أوحى بها الله تعالى وأنزلها رحمة على الإنسان.. إنما كانت إعدادا لتكون جزءا من الأخوة العالمية التى أرساها سيدنا محمد المصطفى ﷺ. نعلم أن الشجرة تحقق غرضها عندما تحمل ثمرًا، ولكننا لا ننتظر حتى تحمل الشجرة ثمارها كي نعتني بها، وإنما نبدأ العناية بها منذ لحظة غرس بذرتها بل وقبل ذلك حيث نحفر الأرض ونليّنها ونضع السماد ونرويها. كل هذه الترتيبات تكون قبل وضع البذر. ثم تبذر الحبة لتكون شجرة وترعاها دائما حتى تثمر. فوصول فضل سيدنا محمد ﷺ إلى الأقوام السابقة، وفي كل مكان من العالم، ليس ادعاء خياليا. لقد خاطبه ربنا عز وجل وقال له: «لو لاك ما خلقتُ الأفلاكَ». يا عبدي المحبوب، لولا أنك المقصود لما خلقتُ العالم. فأنت الثمرة المنشودة.. التى من أجلها خلقت الآخرين، ولكي تنمو هذه الثمرة على الشجرة نما الخشب واللحاء والأوراق التى فيها أيضا كانت منافع للناس. هذا هو المعنى الذى أشعر أن الملائكة تبتهل به إلى الله، وتقول: إن رحمتك وعلمك قد أحاط الآن بكل شيءٍ في العالم؛ فارحم كل امرئ واقبل توبته إذا خضع لك منيبا نادما، ونَجِّه من عذاب النار.

معنى [يومئذ]

وفي قوله: [ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته].. تعنى كلمة (يومئذ) وقتئذ، فكلمة يوم تعنى أيضا فترة من الزمن، والمعنى: في الوقت الذى يغفر الله فيه لأحد فإنه يسبغ عليه رحمة عظيمة. ماذا تعنى الملائكة بقولها (يومئذ)؟ إنها تعنى: من يُرْحَمْ في زمن سيدنا محمد ﷺ.. فما أعظمه من مجد! هذا هو وقت التوبة ووقت الإنابة إلى الله تعالى.

وندرك من هذه الآية أيضا معنى (الرحمة) الذى لم ندركه من قبل. إننا ندعو [واعْفُ عنا واغفِرْ لنا وارْحَمْنا].. أي تجاوز عن أخطائنا واستُرها وارحمْنا. ويحسب الناس أن الرحمة تعنى أن المرء في حالة بؤس ويسأل كالشحاذ الذى يقول إني جائع أو عار فارحمونى وأعطوني شيئا فيُعطَى. ولكن الرحمة لها معنى أعمق من ذلك بكثير. لقد بينت الملائكة هذا المعنى في نهاية الدعاء وقالت: [ومن تَقِ السيئات يومئذ فقد رحِمْتَه].. ففي هذا الوقت.. وقت الشريعة المحمدية.. من أنقذتَه من السيئات والشرور فقد رحمتَه. فرحمتك تعنى أن تنقذ المرء من السيئات، وخصوصا في وقت سيدنا محمد ﷺ، لأنه زمن الابتلاءات الشديدة والسيئات.

والآن عندما تقرأ الدعاء مرة أخرى تجد أنك قد فهمت معنى أفضل من ذى قبل. تقول تجاوَزْ عن أخطاءنا، واصفَحْ عن كل زلاتنا، واغفِرْ كل ذنوبنا.لماذا؟ هل لنواصل ارتكاب الذنوب؟ كلا بل يعنى [وارحمنا] بأن تنقذنا من المعاصي والسيئات فلا نقع بعد ذلك في الذنوب أبدًا. وهكذا يتضح لكم معنى دعاء الملائكة.

الدجّال

كما قلتُ (يومئذ) إشارة إلى زمن النبي ﷺ. وقد أنبأ النبي ﷺ بأن ابتلاءات الخطايا التى ستتلقاها أمته ستكون من الشدة بما لم يلقه أحد في العالم. سيولد المسيح الدجال الذى حذَّر منه كل نبي أمته. قال: انتبِهوا سيأتى وقت يظهر فيه الدجال، وتكثر الخطايا، ويشتد الابتلاء بالإنسان كما لم يحدث من قبل، وسيتغلب على معظم الناس. ولقد رُسمت صورة ذلك الذى سوف يخلق تلك الشرور بشكل شيطان مرعب، يكون محروما من الدين، ولكن سبّاقًا في التقدم المادى. نجد تفاصيل هذه الشرور والأيام المخيفة مذكورة في مواضع شتى من الأحاديث النبوية والقرآن الكريم وهي نفس الأيام التى نمر بها. فكلمة (يومئذ) تتعلق أكثر ما تتعلق بيومنا هذا. ترون في هذا الوقت سيلاً من السيئات قد فاض من الغرب وأغرق العالم، ولن تجدوا مثيلا له في أي وقت مضى. والبلد الذى تعيشون فيه هو نسخة كاملة تماما للصورة التى رسمها سيدنا محمد ﷺ لطرق المسيح الدجال منذ ١٤ قرنا. قال ﷺ بأن الدجال سيكون أعور العين اليمنى أي محروما من الروحانية والتقوى ومحبة الله تعالى، ولكن عينه اليسرى تكون كبيرة للغاية.. قوية نفاذة ترى الأشياء الخفية في باطن الأرض.

وإلى اليوم لم تقم في العالم قوة أكثر تقدما تكنولوجيا من أمريكا. ومن هنا تبدأ السيئات تنتشر في العالم كله، وهي السباقة في التقدم الدنيوي بين الأمم كلها.

فعندما تقرأ هذا الدعاء فكّرْ فيما تعنيه كلمة (يومئذ). إنه زمن أمة سيدنا محمد ﷺ الذى قدر فيه أن تنتشر السيئات. لقد جاء المصطفى ﷺ لينشر الرحمة في العالم.. ولكن سيأتى وقت على هذه الأمة تفشو السيئات في كل اتجاه. فما أعظمه من دعاء دعا به الملائكة قبل أن نولد! تذكّر ملائكة الله تعالى هذا الزمن ودعوا لنا عند العرش الإلهي: يا ربنا في ذلك الوقت، لن يكون بوسعهم البقاء في حفاظة من السيئات إلا بمعونة الدعاء. وسيحتملون مسئولية ثقيلة، وهم ضعفاء. ستقوم قوى عظيمة في مواجهتهم.. وصفتَها يا رب بأنها لا مثيل لها في الدنيا.. وها نحن نلتمس أن ترحمهم وتحميهم من السيئات.

هناك آباء يستشعرون القلق نحو أبنائهم ويسألوننى عن وصفة علاجية، فأقول لهم قبل كل شيء: إن أعظم علاج هو الدعاء. أما وكيف تقول الدعاء. فهذه الآية القرآنية الكريمة قد بينتها لك هذا. هؤلاء الملائكة الذين يعمل بهم النظام الروحانى، والذين يحملون أعباء تشغيله.. إن دعاءهم هنا مليء بالمعانى. لقد دعوا بنظرة عميقة. وعلينا أن ننضم إليهم في دعائهم هذا، وقد بينت لكم وفصلت خلفيته التى تدعون على أساسها لأنفسكم ولأولادكم.

دعاء السفر

وهناك دعاء آخر علمه الله تعالى للنبي ﷺ وصحابته عندما يخرجون إلى السفر. [إذا استويتم عليها وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مُقْرِنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون *] (الزخرف: ١٤ و١٥). إذا امتطيتم وسيلة السفر واستقررتم عليها، فقولوا سبحان الذى أنعم علينا بهذا الشيء النافع الميسر لخدمتنا، وما كان في استطاعتنا أن نذلّله ونخضعه لأنفسنا. (وما كنا له مقرنين) تعنى مقيدين إياه بلجام ليكون عبدا دائما لنا، نستخدمه لأغراضنا، ولا تكون له القدرة على معارضة رغباتنا كسادةٍ له. هذا هو معنى التسخير. [وإنا إلى ربنا لمنقلبون]، وسنعود حتما إلى ربنا.

هذا الدعاء يتعلق بزمننا هذا أكثر. فالركائب السابقة التى خلقت للإنسان، أي الأنعام.. تختلف اختلافا هائلا عن وسائل النقل والسفر الحالية. إن الوسائل الحالية هي عظيمة القوة، وتتصل بنفس الدجال الذى ذكرناه في الدعاء السابق. هذان الدعاءان وردا في سورتين مختلفتين، ومع أنه ليس بوسعنا الجزم بأنهما جاءا بهذا الترتيب لأنهما يتعلقان بنفس العصر، ولكن، سواء حسبنا الأمر مصادفة أو أنه بترتيب وتقدير إلهي خاص، فإن القرآن ذكر سيئات هذه الأيام ودعاءها، ثم ذكر هذا الدعاء وليس بينها دعاء آخر. ولذلك فإنى أميل إلى أن وسائل النقل المعاصرة هي التى ذكرت هنا خصوصًا. يعلمنا الله تعالى أن نقول هذا الدعاء إذا ما استقررنا عليها.. إذ يبدو أنها تحت سيطرتنا.. والواقع أنها تحت سيطرتك سبحانك. إذا لم يكن ناموسك الطبيعي قد ساعدنا.. فما كان بوسعنا أبدا أن نسيطر عليها. ومن الحقائق أنه كلما أبدى العلماء المعاصرون كبرا.. وفى وسائل الموصلات بصفة خاصة.. تعرضوا دائما للمذلة والخزي. فقد شيدوا ذات مرة سفينة ضخمة في بريطانيا، وكانت من الفخامة بأن قالوا إنه لم يشيد مثلها قط، وربما لن يشيد مثلها في المستقبل. وكانت بريطانيا تزهو كثيرا بهذه العابرة للمحيطات التى شيدت كي تسافر بين بريطانيا وأمريكا. كانت مزودة بكل وسائل التسهيلات والترتيبات لحماية الركاب من الأخطار. أطلقوها في المحيط بزهو وكبرياء عظيمين.. ولكنها غرقت في أول رحلة لها وابتلعها اليم.. وغرق معها عدد كبير من الركاب الذين ركبوها بكل شوق وفخر في هذه الرحلة الأولى التاريخية. إنك لا تملك أن تثق بمركب، وإذا وثقت بها فهي لا تملك محاربة قانون الطبيعة. إذا هبت العواصف الهوجاء كانت آلات البشر كحزمة من القش.. أو كذرات من التراب وأعواد من الهشيم تطير هنا وهناك. فعلى الأحمديين أن يتذكروا ترديد هذا الدعاء عند ركوب كل وسائل المواصلات.

رحلتنا إلى الله

وهناك عبارة أخرى أُضيفت إلى الدعاء، وهي عبارة ممتعة للغاية: [وإنا إلى ربنا لمنقلبون]. إنها عبارة عميقة المعنى: فأولا، عندما يمتطي المؤمنون وسائل النقل وخاصةً الخطيرةَ فإنهم يرددون الدعوات، ولكن لا يحسون بالخوف ويقولون لربهم: رحلتنا هذه عابرة، ورحلتنا الحقة هي إليك، وسنعود إليك في نهاية المطاف. فإذا قضيت أن تغرق هذا المركب أو قدرت ألا نعود إلى بلادنا.. فإن وطننا الحقيقي الذى نئوب إليه هو حيث نلقاك. لذلك إننا على يقين بأننا إليك منقلبون.

لِمَ يخاف المؤمن؟!

ولي بهذا الصدد تجربة ملفتة. في عام ١٩٦٥ كنت في زيارة إلى سرى لانكا على سفينة، وكان عليها أيضا وزير سريلانكى. وعندما اقتربنا من البلد هبت عاصفة لم أشهد مثلها على سفينة من قبل. كانت الفوضى في كل أنحاء السفينة. الركاب يبكون ويصرخون ويبتهلون. كان بعضهم يفكر في الزوجة والأولاد، وبعضهم يذكر الله. وكانت السفينة تتقاذفها الأمواج بشدة، وكنت جالسا بلا انزعاج. لقد ذكرت هذا الدعاء فلم أشعر بأي قلق. على أي حال..

لقد أبدى الله تعالى رحمته ومضت العاصفة. وعندما كنا نغادر السفينة سألني الوزير: من أنت؟ قلت: أنا مسلم. قال: هناك كثير من المسلمين غيرك على السفينة، فأي صنف من المسلمين أنت؟ فهمت هدفه وشرحته له. قال: بينما كانت السفينة تمثل مشهدا من مشاهد القيامة أدهشني جلوسك في هدوء متمالكا نفسك ولم تنزعج أبدا. قلت لأن الله تعالى في قوله: [وإنا إلى ربنا لمنقلبون] أوصل إلينا الرسالة بشأن هذه السفرات القصيرة ذات الهدف القريب.. وذكرنا بألا ننسى هدفنا النهائي.. تلك الغاية حقيقة ومستقر دائم سنعود إليه. كنت أفكر أنه سواء رجعنا إلى الله اليوم أو غدا فأي فارق هناك؟

فهذا الدعاء والعبارة الملحقة به تمنح المؤمن قوة هائلة. فأولا أعتقد أنه ببركة هذا الدعاء ينجو المؤمن من كثير من المحن والمصائب، ولكن إذا وقع القدر أحنى رأسه لمشيئة الله باعتزاز وامتثال وطمأنينة. فادعوا بدعاء الذين أنعم الله عليهم.. شريطة أن يكون ذلك بنفس مشاعرهم والتعمق في معانيها. ولما كان الله هو الذى علم سيدنا محمدًا المصطفى ﷺ هذا الدعاء، فقد علّمه أيضا مطالب عميقة لهذا الدعاء ولا يمكن لأحد إدراكها خيرا من المصطفى ﷺ. قال الله له: ادع أنت وأصحابك بهذا الدعاء. ولكن اذكروا دائما أنكم في النهاية راجعون إلينا.

دعاء الإنسان الكامل

* وهناك دعاء يمكن أن نسميه دعاء «الإنسان» أي الإنسان الكامل. إن الله تعالى قدم لنا هذا الدعاء هكذا بدون ذكر صاحب هذا الدعاء وإني على يقين أنه دعاء المصطفى ﷺ. وهناك إلى جانب وصف (الإنسان) مؤشرات أخرى تخبرنا أنه دعاؤه ﷺ.

يقول الله: [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون*] (الأحقاف: ١٤). وقوله: [لا خوف عليهم ولا هم يحزنون] لا يعني أنهم لن يواجهوا مواقف مخيفة محزنة، بل يعنى أن مواقف الخوف والحزن لا تستولي عليهم. ففي كل مواطن الخوف.. يسيطر عليهم خوف الله تعالى وينقذهم من مخاوف الدنيا. ويقع بهم أيضا الخسائر، كما جاء ذلك في موضع آخر من القرآن الكريم، ولكنهم لا يستبد بهم الحزن لهذه الخسائر.. عندما يفقدون شيئا يقولون: لا بأس، لقد مضى، والحمد لله.

شاب مبتسم!!

وتاريخ الأحمدية يخبرنا أنه في هذه الفترة أيضا خلق الله تعالى خدامًا لسيدنا محمد ﷺ الذين جُرّدوا من كل شيء، ولكن الابتسامة لم تفارق وجوههم ولم يحزنوا. ذكرت لكم من قبل حادثة الشاب الذى جاء ليرى الخليفة الثالث (رحمه الله) لسيدنا المهدي عليه السلام، وذلك أثناء اضطرابات عام ١٩٧٤ (بباكستان). وكنت أعمل عندئذ في الوقف الجديد، فجاء ليزورني أيضا. دخل المكتب وعلى وجه ابتسامة عريضة وفي روح عالية. كان اسمه نصير. فقلت له: نصير، ما الموضوع؟ هل ربحت اليوم كثيرا فجئت سعيدا؟ قال: سألني سيدنا الخليفة الثالث نفس السؤال وكان جوابي له: سيدى، لقد فقدنا اليوم كل شيء في سبيل الله تعالى؛ لهذا تجدني سعيدا. كان عندنا مضارب أرز، وكنا بفضل الله تعالى أسرة ثرية. فهاجم الأعداء المضارب ولم ينفكوا يحملون السيارات بالأرز ويأخذونها للبيوت، ولم تهتم الشرطة بالأمر وما حضروا إلا بعد أن انتهى كل شيء وخربوا المصنع، وهدموا الجدران. واليوم أنا سعيد وراض لأن الله تعالى سوف يرد لنا كل شيء كما ضحينا بكل شيء له. هذا هو معنى [ولا هم يحزنون].

وعلى العكس من ذلك تجد الذين ينقصهم الإيمان الكامل عندما تصيبهم خسارة بسيطة يهلكون حزنا. وهكذا ترون كم يكون الفارق عظيما بين خدام سيدنا محمد ﷺ هؤلاء الذين تلقوا التربية الروحية منه،وبين غيرهم. يقول الله تعالى [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا..].. انظُرْ ما أعظم عبادي الذين يعلنون أني ربهم. و[الرب] تعني المربي، الذي يمنح كل شيء، الذى يزودنا بالقوت، ويرفعنا من المراحل الدنيا إلى الدرجات العليا. والناس يسمون الله تعالى «ربا» ومع ذلك يخشون القوى الدنيوية ويعتبرونها ربا. هذا غير صحيح، وإنما عبادى الذين إذا قالوا أنى ربهم فهم لا يتجهون إلى أحد سواي [لا خوف عليهم ولا هم يحزنون].. لا يتغلب عليهم خوف دنيوى، ولا يحزنون مهما أصابهم من أذى، وإنما يقضون حياتهم في طمأنينة وهدوء.

ما أعظم هذا الإنسان الذى يريد القرآن أن ينشئه، ولهذا قدّم الله تعالى هذا الدعاء على أنه دعاء «الإنسان». فهذه هي صفات الإنسان الكامل.

تقول الآية: [أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها] سيبقون فيها ولا يخرجون منها، [جزاء بما كانوا يعملون*].. هذا جزاء أعمالهم. أما وقد صاروا لله بكليتهم دائما وأبدا فقد صار الله لهم دائما وأبدا.

إحسان النبي ﷺ لوالديه!!

[ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا] أي أوصينا هذا الإنسان الكامل.. محمدًا أن يكون عطوفا على والديه.

وهنا ينشأ سؤال: إن النبي ﷺ لم ير والده حيث تقول الروايات أن أباه مات قبل مولده ﷺ، ولم ير أمه سوى فترة قصيرة جدا.. فما معنى أن يكون محسنا إلى والديه؟ الواقع أن هذه

العظة الموجهة إلى الرسول ﷺ هي في الحقيقة عظة لكل البشر، لأن كل عظة للإنسان الكامل تشمل كل الناس العاديين، ولذلك لم يكن هناك حاجة إلى مقدمة مطلوبة.

يقول الله تعالى: وصينا الإنسان الكامل أن يعامل والديه دائما بإحسان. [حملَتْه أمه كُرهًا ووضعَتْه كُرهًا] هنا يأخذ الموضوع صفة العمومية، وينطبق على كل الناس، وبعد ذلك يتخذ لونا آخر. يقول: انظر عظيم فضل الأمهات. كل أم تحمل جنينها في بطنها بصعوبة كبيرة، وتلده بألم شديد، وتحفظ الجنين في رحمها تسعة شهور بحيث يتطور من مرحلة بدائية للغاية إلى صورة آدمية. فالربوبية تعنى التربية التى تنقل المرء من مرحلة متدنية إلى مراحل أعلى. والأم تقدم أعظم مثال لذلك في العلاقات البشرية. يقول الله تعالى: انظُر إلى الأم فكل أم ربت ابنها بصعوبة كبيرة في رحمها، ثم وضعته في مواجهة مخاطر عديدة.. [وحَمْلُه وفِصاله ثلاثون شهرا]، ومدة حمله في رحمها ورضاعته من ثديها تبلغ ثلاثين شهرا. [حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة]، فإذا ما نضج واكتمل نموه ووصل إلى سن الأربعين.. [قال: رب أَوْزِعْنى أن أشكر نعمتَك التى أنعمتَ عليّ وعلى والِدَيَّ وأن أعملَ صالحا ترضاه، وأصلِحْ لي في ذريتى. إنى تبت إليك وإنى من المسلمين*]

قلت إن الموضوع سوف يتغير فيما بعد. فالنصف الأول من الدعاء ينطبق على كل فرد من بنى البشر، وكل إنسان تضعه أمه بنفس الطريقة، ولكن ليس كل إنسان يشعر بالامتنان والشكر. وهنا يعود الموضوع إلى سيدنا محمد ﷺ.. حيث ذُكر الأربعين، وإلا فلا يقال عن كل إنسان أن سن بلوغه هو الأربعون. فالإشارة هنا بالتأكيد إلى سيدنا محمد ﷺ. ذُكر أنه بعد اصطفائه للنبوة كان يدعو: [رب أوزِعْنى أن أشكر نعمتك التى أنعمتَ علىَّ وعلى والدَيَّ].. يا رب مكِّنى من الشكر لك على نعمتك التى تفضلت علي بها ثم كملتها. وهذا الكمال وارد ضمنا في النبوة، ولذلك قلت «كملتها». وترون أن الآية لم تذكر إحسان النبي ﷺ لوالديه.. ذلك لأن والديه كانا قد رحلا عن الدنيا في صغره. ويبدو كأن هذا الموضوع قد نُسج بخطين: مرات يكون عاما ومرات يكون خاصا. وعند العموم فإنه يغطي البشر جميعا، ثم ينكمش ليركز على سيدنا محمد ﷺ. كان يدعو الله بأن يوفقه للقيام بواجب الشكر على نعم الله عليه، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل وأن يقوم بواجب الشكر نيابة عن والديه أيضا. ومن الحقائق المعروفة أن والِدَي المصطفى ﷺ ماتا ولم يعرفا أن من ذريتهما سيكون أعظم إنسان على الأرض سيصل إلى أسمى الدرجات التى لا يمكن تخيلها. ولما كان والداه قد توفيا ولم يسلما، ولم يؤذَنْ لرسل الله أن يدعوا لآبائهم لاحتمال أن يكونوا من الوثنيين، لذلك لم يدع النبي ﷺ لوالديه، وإنما أقر لله تعالى بأنك تفضلت عليهما أيضا بنعم عظيمة.. منها أنك قدرتَ ولادتي في بيتهما.. ولم يتمكنا من شكرك لأنهما لم يعرفا مدى هذا الفضل عليهما، فمكِّنْ لي يا رب أن أشكرك نيابة عنهما. وفي ظني أنه لا توجد طريقة أفضل من هذه للاستغفار لهما.. وهكذا يكون النبي ﷺ قد رد لهما صنيعهما. فترون كيف عولج هذا الموضوع وقيل ينبغي أن تذكروا إحسان الوالدين. فدعا ربه أن يمكنه من أداء الشكر باسمهما. ولا أعتقد أن الله تعالى لا يغفر لمن يشكر النبي ﷺ اللهَ باسمهم.

كيف نشكر اللّه؟

وقوله تعالى: [وأن أعمل صالحا ترضاه]، هنا يعرّف الله تعالى معنى الشكر له. فالشكر الذى تعبر عنه بالكلمات ليس شكرا حقيقيا. كيف شكر المصطفى ﷺ: [وأن أعمل صالحا ترضاه].. أن أعمل ما يرضيك دائما. وبهذا أيضا فسر فلسفة الشكر. المرء يشكر من أسدى إليه صنيعا برد صنيعه بصنيع مقابل.. ولكن المرء لا يستطيع أن يرد أفضال الله تعالى بصنيع مقابل. فماذا يفعل؟ عليه أن يفهم روح رد الجميل. فمن رُدَّ إليه الجميل يشعر بالرضا. إذا أهداك أحد هدية فإنك تردها إليه بهدية أفضل. وهذه الهدايا وقتية، وأحيانا لا يستعملها المرء، وقد يهديها لشخص آخر أو يلقي بها لعدم نفعها، ولكنه مع ذلك يسر ويرضى عند تلقيها ولو كانت صغيرة إذا قدِّمت بحب. فالمسألة سيكولوجية عميقة. قال ﷺ لربه: لا أستطيع أن أسدي لك الجميل، ولكني على الأقل أستطيع إرضاءك، وما رد الجميل إلا للإرضاء. فوفّقني لأن أتمكن من القيام بالعمل الصالح. أنا لا أعرف أي الأعمال ترضيك، فاجعلني أعمل ما يرضيك وأن أستمر في عمله طيلة حياتى وأرضيك دائما. [وأَصْلِحْ لي في ذريتي] وبالإضافة إلى ذلك أيضا اجعل ذريتي صالحة. وأنتم جميعا داخلون في ذريته، ليس الذين من ذريته المادية فقط وإنما كل من ارتبطوا أو يرتبطون معه بالإيمان به.

إني تبتُ إليك وإنى من المسلمين .. الآن الأمر واضح تماما. النبي ﷺ يقول: تعلم، يا رب، أنى عُدت إليك. لقد تبت إليك توبة لم تكن من أحد قبلى. لا أريد أحدا غيرك. وبوسعى أن أعلن بأنى مسلم. ولذلك يا رب ارحَمْ من يأتى بعدي ويقيم علاقة معى، ومكن لهم أيضا أن يفعلوا من الصالحات ما يرضيك.

محيط سام

أنهي خطبة اليوم بهذا الدعاء، ولكني أذكِّركم بأنه دعاء يحتاج إليه الجميع في كل مكان، وفي كل الأزمنة. وهذا الدعاء لازم وضرورى في هذه الفترة، وفي هذا المكان الذى أخطب منه.. ربما أشد من أي مكان آخر من العالم. إنكم تعيشون في محيط قاس، هواؤه سام. عندما يتنفس الأطفال هنا يصابون بنوعين من

التلوث؛ أحدهما يمكن أن يراه الناس، وقد تنبهت له عقولهم، وهو تلوث الهواء بالجراثيم والغبار والغازات السامة المعروف في العالم كله، وقد حذر منه الجميع ويجاهدون للتحكم فيه. ولكن هناك تلوثا هو أفتك من الأول، لأنه تلوث يفسد الروح ويوجد هذا التلوث في الجو بكثرة بحيث لو عرفوا ما ذا يتنفسون لانهاروا من الفزع، ولكنهم لا ينتبهون له.

فعندما دعوتم فادعوا كي تنجوا من هذا التلوث. وادعوا لأصدقائكم أيضا كي ينجيهم الله تعالى منه. لأن هذا الهواء هو في الحقيقة دنس جداً. لقد رأيت كثيرا من الآباء الأحمديين يبكون لأن ابنة انزلقت من بين أيديهم، أو ابنا خرج عن طاعتهم. لقد تغير تفكيرهم، وتغيرت مفاهيمهم عن الحياة، ولم يعد ينفع معهم نصح ولا وعظ. ينظرون إلى الأمور من ناحية، وينظر آباؤهم إليها من ناحية مختلفة تماما. في مثل هذا الموقف لا يجد المرء عونا سوى في الدعاء. هناك أشياء كثيرة للعلاج تناولتها بالشرح في مناسبات شتى، ولسوف أذكرها إن شاء الله تعالى في المستقبل أيضا، ولكن الدعاء هو أكبر سند لنا. ومن بين هذه الأدعية أشعر أن الدعاء الذى تلوته علكيم آنفا هو أكثر ما نحتاج إليه اليوم فيما يتصل بالموقف في أمريكا، بل وفي سائر بلاد العالم.

عسى الله تبارك وتعالى أن يوفقنا لتلاوة هذه الأدعية حق تلاوتها.. بإدراك عميق لمغزاها وبحرارة غير عادية. ندعو بها لأنفسنا ولذريتنا وأجيالنا القادمة.

أللهم، تقبَّلْ دعاءنا! آمين!

التفسير بقية

العالمين: راجع معنى الكلمة في شرح مفردات سورة الفاتحة.

التفسير:

في هذه الآية اختار الله تعالى أسلوبا آخر لترغيب بني إسرائيل في الإيمان بالشريعة الأخيرة. فني الآيات السابقة وجّه أنظارهم إلى أن الله قد وعدكم وعداً وأنه وفّى بما عليه من عهد، ولكنكم لم تؤدوا ما في ذمتكم من العهد، فحرمتم من فضله، وها قد نزل مرة أخرى وحي جديد بحسب أنباء كتبكم، فآمِنوا به، ولو آمنتم به لاستأنف الله إنزال نعمه عليكم. وأما في هذه الآية فينبههم أن حب المحسن دأب الشرفاء. ولقد أحسن الله إليكم كثيرا إذ رفعكم من الحضيض إلا درجات عليا حتى جعلكم من أفضل الأمم، فلماذا لا تقدِّرون صنيعه حق قدره، وترفضون رسالته؟ اشكروا هذا الإحسان ولا تعرضوا عمن أحسن إليكم.

وقوله تعالى: [أني فضلتكم على العالمين] لا يعنى أن الله تعالى فضلهم على الأولين والآخرين من الأمم جميعا، وإنما المراد أنه فضّلهم على من كان في زمنهم من الأمم. فالقرآن يصف أمة الإسلام التى أسسها محمد رسول الله ﷺ بأنها خير الأمم، فقال: [كنتم خير أمة أُخرجت للناس] (آل عمران: ١١١)، وقال: [وكذلك جعلناكم أمة وسطا] (البقرة: ١٤٤).

يتعين معنى (العالمين) من قوله تعالى: [إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين] (آل عمران: ٣٤). فالمراد منه المعاصرون لكل واحد من هؤلاء، لأن الأنبياء والأمم المذكورين في هذه الآية عاشوا في أزمنة مختلفة، ولا يصح القول أن كل واحد منهم كان أفضل من أهل الأزمنة كلها.

وهناك آية أخرى تلقي مزيدا من الضوء على معنى كلمة «العالمين». عندما استضاف سيدنا لوط عليه السلام بعض الناس في بيته جاءه قومه وقالوا: [أو لم نَنْهَكَ عن العالمين*] (الحجر: ٧١).. أي ألم نمنعك من إحضار الأجانب من الجيران إلى القرية. فمعنى العالمين هنا: الأغراب أو الأجانب من حول المنطقة.

إذن فحيثما جاء في القرآن كلمة «العالمين» فلم ترد بالضرورة بمعناها الواسع بل يمكن أن تعني الجيران أو المعاصرين. وهذان المعنيان هما المراد في آيتنا هذه.

ولم يقل الله تعالى: «فضلتكم على الناس» ليشير إلى أن فضّلهم كان على أنواع. وسبق أن ذكرنا معاني لفظ (العالمين) عند شرح المفردات لسورة الفاتحة، وبيّنا أن معناه أيضا طائفة أو نوع من الناس ينهضون دليلا على وجود الله تعالى. فكلمة «عالمين» تشير إلى طوائف ذات خواص متنوعة. ومعنى الآية: إننا فضلناكم على البارعين في كل العلوم والمجالات.. روحانية وشرعية وأخلاقية وغيرها، وخلقنا فيكم أصحاب كمال في كل مجال، ففاقوا أمثالهم في عصرهم أو فيمن حولهم من الأمم.

ALTAQWA
ISLAMIC MONTHLY MAGAZINE
VOLUME No 5, ISSUE No 10& 11 February & Mar. 1993

بمناسبة حلول

عيد الفطر السعيد

نتمنى لكم عيداً سعيداً

و

كل عام وأنتم بخير